الحضارة المصرية والحضارات الشرقية في العصور القديمة

تأليف

د.علي إبراهيم حسن

أستاذ التاريخ القديم ـ كلية الآداب

جامعة القاهرة

تقديم ومراجعة

د. محمد حسين ابراهيم

أستاذ التاريخ – جامعة القاهرة

الكتاب: الحضارة المصرية والحضارات الشرقية في العصور القديمة

الكاتب: د.علي إبراهيم حسن

تقديم ومراجعة : د. مُحَمَّد حسين ابراهيم

الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

فروخ ، د. عمر

الحضارة المصرية والحضارات الشرقية في العصور القديمة / تأليف : د.علي إبراهيم حسن ، تقديم ومراجعة: د. مُحَمَّد حسين ابراهيم – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٤٢ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٢ – ٧٩٨ – ٤٤٦ –٩٧٧ –٩٧٨

أ – العنوان   رقم الإيداع : ١٣٨٢٩ / ٢٠١٨

الحضارة المصرية والحضارات الشرقية في العصور القديمة





مقدمة

ترتبط الحضارة ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ، حيث أنّها جزء ونتاج من التاريخ، والإنسان لا يستطيع التحدّث عن الحضارة دون أن تكون لديه خلفيّة عن التاريخ وماهيّته، ومن الممكن أن نُعرّف الحضارة بأنّها ثمرة جهود الإنسان المقصودة وغير المقصودة من أجل تحسين ظروف الحياة بشكل مادي أو معنوي، كما أنّ ثمار الحضارة لا تظهر إلّا بوجود العامل التاريخي.

الحضارة في اللغة هي مصدر الفعل حضَرَ، وهي مرحلة سابقة من مراحل التطور الإنساني، وهي التمدُّن، والحضارة خلاف البداوة، وجمعها حَضَارات؛ وفي الاصطلاح الحضارة هي كل ما يشمل على العقيدة، والفن، والقانون، والأخلاق، والعادات، وهي مجموعة من النُظم التي تُميز مُجتمعاً ما عن غيره من المُجتمعات، كما أنها حصيلة ما يكتسبه الفرد في مجتمعه، ولا يزال مفهوم الحضارة من المفاهيم المُختلف على تعريفها؛ بسبب اختلاف النظرة إليها من شخصٍ لآخر، هذا بالإضافة إلى اختلاف المدارس الفكرية واختلاف معنى الحضارة بين الفلاسفة والباحثين، وقد ذهب بعض منهم إلى أن الثقافة والحضارة مصطلحان يحملان معنىً واحداً، وذهب البعض الآخر إلى أن المصطلحين يختلفان عن بعضهما، ولكل منهما معنى مُحدد، حيث بيَّنوا أن الحضارة تقتصر على التقدم المادي

للمجتمع، في حين تقتصر الثقافة على أفكار وعقائد الإنسان. وقد تعدّدت تعريفات الحضارة الاصطلاحية، فقد عرّف ابن خلدون الحضارة على أنها مفسدة للعمران، حيث أنها تكوين المدن العظيمة الثرية والمُترفة، والتي يميل سكّانها إلى الراحة، مما يُشجّع سكّان البادية من حولهم على غزوهم والاستيلاء على أموالهم، ثم ما يلبثوا أن يكوّنوا ثروة أخرى لتعود وتزول على أيدي غيرهم، وهكذا يرى ابن خلدون أن الحضارة تُفسد العمران ففي بداية تكوينها يكون العمران ويزول بعد أن يركن أهلها إلى الراحة، ويرى أيضاً أن الحضارة هي طورٌ طبيعيٌ في مُختلف المجتمعات وهي التفنّن في الترف الذي ينقل الناس من حياة البداوة إلى التحضر وازدهار العمران، وبشيوع مظاهر الترف يظهر الفساد ويبدأ الهِرم فيها .

كما عرَّف وول ديورانت الحضارة على أنها نظام اجتماعي يُعين الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي. أما عالم الأنثروبولوجيا الإنجليزي تايلور فقد رأى أن الحضارة عبارة عن كيان مُعقد يضم العديد من الفنون والآداب، والعادات، والتقاليد، وجميع القوانين التي يكتسبها الإنسان في المُجتمع، أما الحضارة في الإسلام والتي تُعرف بالحضارة الإسلامية فهي مجموعة القيم والمفاهيم التي تنبع من وجهة نظر الإسلام والمُرتبطة بمختلف مناحي الحياة الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والعلمية، والإدارية، والاقتصادية، وتعكس هذه المفاهيم نظرة الإسلام الشاملة للحياة والإنسان بما يُلائم حاجاته وتطلعاته لعمارة الكون من حوله .

ويُمكن القول أن مفهوم الحضارة عند العرب بشكل عام هو ما يدل على نمط الحياة المناقض للبداوة، كما يدل على إنشاء المدن والأمصار

وتحقيق مكاسب العيش، كما يُمكن القول أن الحضارة اليوم لم تعد تقتصر على تناقضها لمعنى البداوة فقط، وإنما تعبّر أيضاً عن ارتقاء المجتمعات وتطورها في جوانب الحياة المادية، والمعنوية المُختلفة، كما أن الحضارة ليست حكراً لأجناسٍ مُعينةٍ فتكون قادرة على صنعها وأخرى غير قادرة، وإنما هي ملك للأمم التي تأخذ بأسباب العلم على اختلاف العصور، فالحضارة الإنسانية لم تقم بجهود أمة واحدة وإنما ساهم كثيرٌ من الأمم في قيامها، حيث إن الحضارات الإنسانية عبارة عن حلقات متصلة مع بعضها البعض، وكل حضارةٍ تأتي تعمل على رفع الصرح الحضاري درجة أكثر من الحضارة التي سبقتها .

هُناك عوامل عدة لقيام الحضارات، وتُعتبر الحضارة غاية أي مُجتمع بشري مُستقر، وانهيار الحضارة هو نهاية وجود المُجتمع البشري واستقراره، وإن أي مجتمع بدون حضارة سيكون مُجتمعاً بدائياً؛ فالحضارة تضع حاجزاً بين الإنسان وهمجيته فتحميه. أما عوامل ظهور الحضارة فيرى بعض الفلاسفة والباحثين بتعددها، ويرى بعضهم الآخر أن الحضارة تقوم على عامل واحد فقط، فمنهم من يُرجع قيام الحضارة إلى طبيعة الجنس، أو إلى الظروف البيئية المحيطة، أو إلى الأحوال الاقتصادية، أو إلى جوهر الإنسان وإرادته وعزيمته، أو إلى دور القيم الاجتماعية في المجتمع والتي وُضعت لتناسب حضارة قوية ومتينة، أو إلى قوة المجتمع بحد ذاته، حيث رأى بعض الفلاسفة أن قيام الحضارة بسبب أحد هذه العوامل أو بسبب عاملين أو أكثر مجتمعين مع بعضهم البعض، وفيما يأتي عوامل قيام الحضارة من وجهة النظر الغربية والإسلامية .

عوامل قيام الحضارات من وجهة النظر الغربية

فسرت الرؤية الغربية قيام الحضارات بسبب عاملين فقط وهما الطبيعة والإنسان، وكان نتيجة تركيز نظرتها في قيام الحضارات على الذات الإنسانية والطبيعة أن يُعتبر الجنس أو العرق العامل الأساسي في نشوء الحضارة، واختصت بذلك الجنس الأبيض لما يتمتع به من خواص أهلته لصنع الحضارة. أما دخول الطبيعة كعامل مهم في نشأة الحضارة فيكمن في نشوء صراع بين الطبيعة والإنسان ليتحدى الإنسان نفسه وتتفجر طاقاته ليبني حضارة مُزدهرة، إلّا أن هذا الصراع أدى مع مرور الأيام إلى إحداث الفساد في العمران، والجدير بالذكر أن فكرة الصراع بين الإنسان والطبيعة من حوله هي فكرة غربية بحتة تبدو للوهلة الأولى منطقية إلّا أنه عند التوغل فيها نجد أنها فكرة مدحوضة حيث إن الطبيعة وُجدت لخدمة الإنسان وعليه فإن فكرة الصراع بينهما مرفوضة، فالعلاقة بينهما علاقة تكامل وانسجام، وفي عصرنا الحالي نجد أن الحضارة المعاصرة عملت على إفساد البيئة الكونية، وذلك لأن العلاقة قد تأسست منذ البداية على فكرة الصراع دون وجودٍ للقيم الأخلاقية، مما أدى إلى ظهور العديد من المشكلات مثل استنفاد الموارد ومصادر الطاقة المخزونة، بالإضافة إلى تراكم النفايات بشكل كبير واستخدام أسلحة الدمار الشامل التي أدت إلى إهلاك النسل، وكل تلك الأمور سببها السلوك الإنساني الفاسد .

وقد تم استبعاد البعد الغيبي في عوامل قيام الحضارة في الرؤية الغربية، حيث تعاملت الحضارة الغربية مع عالم الشهادة، واقتصر علمها على المفاهيم الوضعية التي تقوم على الصراع. كما أن النظريات الغربية عمدت

إلى تعظيم دور الإنسان وجعله مركزاً للكون، بالإضافة إلى تضخيم دور الطبيعة أيضاً، وقد سعت الحضارة الغربية إلى تحقيق المنفعة للإنسان وإشباع غرائزه مع إهمال الجانب الروحي، الأمر الذي أدى إلى التهديد بالخطر، ولم ير الغرب أن مقياس تفوّق الحضارات لا يكون في حجم إنتاجها فقط وإنما في أخلاقية الجماعات المتحضرة في المجتمع وخدمتها للإنسانية، حيث انحصرت وجهة النظر الغربية في عرقٍ معيّن أو نطاق دولة معينة، أو طبقة ما. والجدير بالذكر أن انفصال الحضارة عن الدين في المجتمع الغربي أدى بها إلى الانحلال، والذي أدى بدوره إلى مشكلات عديدة أهمها انهيار الأسرة، وتفككها، وانتشار المخدرات، وغيرها من مشاكل المجتمعات الغربية .

عوامل قيام الحضارات في الرؤية الإسلامية:

لقد استخلف الله الإنسان في الأرض للقيام بدوره الحضاري فيها، ويمكن القول إن تقدم المجتمع وتخلفه يرجع للإنسان نفسه، وقد أكد القرآن الكريم هذا الأمر عندما بيّن أن أي تغيير في العالم يبدأ من تغيير الناس لما في أنفسهم، إذاً فإن قيام الحضارة وسقوطها يعود إلى الموقف البشري نفسه، والإرادة الإنسانية وليس إلى الطبيعة أو المادة. كما أن بقاء الأمة وحضارتها مرتبط بصلاح نفوسها وفسادها سواء داخلياً أو خارجياً، أما التغيير الداخلي للنفس فيحدث من خلال الإيمان والذي يعمل على تنشئة الأفراد على الصدق، والأمانة، والإخلاص، ومحاسبة النفس وضبطها، كما يؤهلهم لبناء حضارة ومجتمع مزدهر، ويعد الإيمان الأساس

الذي تقوم عليه الحضارة لما يحدثه من آثار في حياة الإنسان، ويبين الإيمان حقيقة الوجود ويرسم غاية الحياة، وحقيقة التوحيد التي تُمثل جوهر العقيدة التي يتم بناء الحضارة على أساسها .

ويشكّل الإيمان، الوعي الجماعي للمجتمع الذي تقوم عليه الحضارة، فلكل دائرةٍ حضاريةٍ نظرياتها المعرفية المُحددة لخصائصها الجوهرية والتي تمنحها الهوية الثقافية والاجتماعية المتميزة. كما أن الإيمان يبدأ بعملية إصلاح القلب والذي يتبعه صلاح في الأعمال، وبالتالي الانعكاس على قيام الحضارة المادية، ويقوم الإيمان على الوسطية في مبادئه والتي تعد سيرة المسلمين التي بنوا عليها حياتهم القائمة على العدل الذي يعد منطلقاً للتغيير، والتعمير، والاستثمار، ويمكن القول إن الوسطية قاعدة أساسية من قواعد التحضر الإسلامي في مختلف الجوانب الفكرية، والسلوكية، والتعميرية، وبما أن الإيمان يعني المعرفة والتصديق والعمل فإن ذلك يعني تكامل العلم والعمل معاً، مما يُتيح للفرد أن يتطور ويُحقق العمران في الأرض، وبالتالي البعد عن الفساد والإفساد فيها، وهذا يعني تحقيق الهدف من استخلافه .

إن الإيمان بالله وتوحيده هو المرجع والمبدأ الذي تنبثق منه كافة المفاهيم والقيم التي تمنح الحضارة الإسلامية هويتها، كما ويربط جميع مكوّناتها لتصبح كياناً متكاملاً، وقد ارتبطت علاقة التوحيد بجميع مظاهر الحضارة، حتى إن المسلمين قد اتخذوا التوحيد عنواناً لجميع أبحاثهم وأدرجوا الموضوعات الأخرى تحت لوائه.. ويعتمد مبدأ التوحيد على الوحدة وليس التنويع لذلك نجد أن الحضارة الإسلامية لا تؤمن بوجود

إلهين، الأمر الذي يصل بتأثيرات الحضارة الإسلامية إلى كل قانونٍ وكل توجيهٍ، أما مسؤولية الإنسان عن تصرفاته فتسمى بالتكليف، وفي التصور القرآني فإن كل شخص يمتلك حرية التصرف وهو مسئول عن أعماله، وعليه يجب على الإنسان أن يُغير ما بنفسه من سوء وأن يتحمل المسئولية لإحداث التحضر المطلوب، ويتم ذلك من خلال تثبيت العقيدة الصحيحة في النفس .

والجدير بالذكر أن الإيمان يمنح الإنسان القوة التي تجعله يتحلى بالأخلاق الحميدة والتي تحرضه بدورها على الرقي والتقدم في الدنيا، كما يُمكن القول أن الإيمان عامل حضاري يوجه إرادة الجماعات نحو المسار الصحيح ليزيدها عطاءً وقوة، ويجعلها تُبدع أكثر.

عوامل قيام الحضارة المصرية القديمة :

ترتبط نشأة الحضارة المصرية بالعوامل الجغرافية التي ساهمت في ظهور تلك الحضارة، من خلال مقوماتها الطبيعية والبيئية، إلّا أنّ بعض المؤرخين كان لديهم رأي مغاير لذلك، ألا وهو أنّ الجغرافية التاريخية هي التي ساهمت في ظهور الحضارة المصرية القديمة، ويعني مصطلح الجغرافيا التاريخية وجود تفاعل ما بين الإنسان والبيئة، وتنتج عن هذا التفاعل حركة التاريخ وشكله وأحداثه، وهناك العديد من العوامل الأخرى التي ساهمت في ظهور الحضارة المصرية القديمة، وهي كما يلي :

الموقع الجغرافي :

تأثّرت الحضارات على مرّ العصور بالطبيعة الجغرافية، ومنها مصادر الماء، وطبيعة الأرض، حيث إنّ الموقع الجغرافي هو من أهم القواعد التي تساعد على فهم الحضارات وخصائصها، بما فيها حضارة مصر القديمة، حيث أثّر الموقع الجغرافي لمصر على تاريخها القديم، وذلك لأنّها تقع في الجزء الشمالي الشرقي من قارة إفريقيا، وهي حلقة وصل بين القارات الثلاث: آسيا، وإفريقيا، وأوروبا، كما أنّها تطلّ على البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر، وترتبط مصر بفلسطين عبر صحراء سيناء، وقد ساهمت عزلة مصر الجغرافية في حمايتها من الأخطار والهجمات التي طالت الدول الآسيوية، وقد انقسمت مصر إلى قسمين: مصر العُليا: التي تتكون من وادٍ ممتد من شلالات أسوان، وحتى رأس الدلتا. ومصر السُفلى: وهي أرض منبسطة، تحتوي على بعض فروع نهر النيل. وقد ساعد موقع مصر الجغرافي على العمل في التجارة، من خلال الاستعانة بالسفن من أجل تبادل القمح، والمصوغات، والأواني المصنوعة من الخزف، والعديد من المواد الأخرى مثل الملابس، أو الصفيح، واستخدام طريق صحراء سيناء لنقل القوافل من مصر إلى سوريا وفلسطين .

نهر النيل:

يُعتبر نهر النيل أحد أطول الأنهار في العالم، حيث يبلغ طوله ٦٦٧٠ كيلو متراً، وتبلغ مساحة حوضه ٣.٣ مليون كيلو مترا، وهو من الظواهر الجغرافية الفريدة من نوعها، وذلك لأنّه النهر الوحيد الذي يشقّ الصحراء

من أجل أن يصل إلى البحر الأبيض المتوسط، وينبع نهر النيل بشكل أساسي من نهر كاجيرا الذي يصبّ في بحيرة فيكتوريا، ومن ثمّ يتّجه إلى الشمال ليصل إلى بحيرة ألبرت، ومن ثمّ يمرّ في الأراضي السودانية، حيث يُعرف نهر النيل باسم النيل الأبيض، أو بحر الجبل، ومن ثمّ يُصبح النيل النوبي عندما يصل إلى مدينة أسوان المصرية، إلى أن يصل إلى القاهرة، حيث يُعرف باسم نهر النيل .

المناخ:

يُعتبر المناخ أحد العوامل التي أثرت في الحضارة المصرية القديمة، حيث تتميز مصر بمناخ حار وجاف صيفاً، وبارد بشكل نسبي في فصل الشتاء، وتكون درجات الحرارة في منطقة وادي النيل مرتفعة، وتزداد ارتفاعاً في المنطقة الجنوبية من مصر، كما وتكون الأجواء رطبة بسبب وجود البحر الأبيض المتوسط في الجهة الشمالية، والبحر الأحمر من جهة الشرق، وقد ساعد مناخ مصر على الحفاظ على الآثار التاريخية القديمة .

المعادن وخصوبة التربة :

ساعدت خصوبة تربة مصر في التأثير على تقدّمها وقيام الحضارة فيها، والسبب وراء تلك الخصوبة هو الطمي الذي يظهر بعد فيضان نهر النيل، وقد ساعدت الخصوبة على نمو الكثير من المحاصيل الزراعيّة مثل: الذرة، والعدس، والقمح، والنخيل، كما أنّ أرض مصر تحتوي على الكثير من المعادن، مثل: الحديد، والنحاس، والرصاص .

الحضارة المصرية القديمة تُعتبر إحدى أقدم الحضارات في العالم، حيث يرجع تاريخ نشأتها إلى ٣١٥٠ سنة قبل الميلاد، وذلك عندما قام الملك مينا بتوحيد مصر العليا والسفلى، وقد تركزت هذه الحضارة في منطقة نهر النيل في مصر، وضمّت العديد من الممالك المستقرّة، إلى أن بلغت ذروة الحضارة في العهد الحديث للدولة، وقد انتهى حكم الفراعنة بسبب غزو الإمبراطوريّة الرومانية لمصر، ممّا جعلها إحدى المقاطعات الرومانية، وقد استمر نجاح الحضارة المصرية القديمة من خلال قدرتها على التكيّف مع الظروف التي ما انفكّ حدوثها عند منطقة وادي النيل، وتتمثّل القدرة على التكيّف في التنبؤ بالفيضانات، والقدرة على السيطرة على الأضرار التي تصيب المحاصيل الزراعية .

كما تميزت الحضارة المصرية القديمة في وضعها لعدد من المشاريع الزراعية، وابتكارها لنظام كتابة مُستقل، بالإضافة إلى تعزيز القوى العسكرية من أجل الدفاع عن الفراعنة، وتأكيد هيمنتهم، وقد كان للمصريين القدماء العديد من الإنجازات التي تلخّصت في بناء الأهرامات والمعابد، وابتكار أنظمة لريّ المحاصيل الزراعيّة، وابتكار نظام رياضيات يُستخدم بشكل عملي في الطب، كما أنّ المصريين القدماء كانوا أول من بنى السُفن، وأول من كتب معاهدة للسلام .

وتُعدّ الحضارة الإنسانية العريقة في مصر رائدة في الفنون والعمارة، حيث كانت تلك الحضارة أول من عرف مبادئ الكتابة الهيروغليفية، وكانت أول دولة تكتب تاريخها بالعالم، وقد كانت مصر مكاناً احتضن الأنبياء مثل نبي الله إبراهيم عليه السلام، وسيدنا يوسف عليه السلام،

والسيدة مريم العذراء، والمسيح عليه السلام، وقد تنوعت الحضارات في مصر، منها الحضارة الإغريقية، والفرعونية، والرومانية، والإسلامية ...

وما بين يديك كتاب يحوي بين دفتيه العديد من حضارات العالم وبالأخص حضارة مصر القديمة التي أبهرت العالم قديماً وما تزال تُبهرهم حديثاً؛ لذا فهذا الكتاب قيم في ذاته زاخر بأفكاره وحكاياته التي تُعلمك الكثير والكثير عن حضارات العالم القديم؛ لذا انهل من هذا العلم الغزير، واغتنم منه ما تشاء.

د. محمد حسين ابراهيم

مواطن الحضارات القديمة وعوامل قيامها ومصادرها

مواطن الحضارات القديمة:

لم تبدأ حضارات الشرق القديم في كل مكان في وقت واحد، لأنه يجب ألا نتصور أن كل سكان الدنيا مروا كلهم في زمن واحد بعصر واحد من هذه العصور، فمنهم من سبق غيره ومنهم من تأخر تأخراً محسوساً، لتباين سخاء الطبيعة واختلاف مدى النشاط البشري في بقاع الأرض المختلفة.

وأول نشأة الحضارة، كانت في أحواض أنهار كثيرة الخصب معتدلة المناخ، وفرت قيام الزراعة وسهلت أسباب المواصلات، وفي تلك البقاع عاشت الجماعات البشرية وتكونت الروابط الاجتماعية، فتمدين الإنسان وظهرت الحضارات.

وظهرت منذ أقدم العصور في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، في مصر وغربي آسيا، حضارات عظيمة، ثم قامت حضارات الشرق القديم في الهلال الخصيب في أراضي دجلة والفرات وسوريا وآسيا الصغرى وإيران.

العوامل المشتركة في قيام الحضارات:

١- خصوبة التربة: كون نهرا دجلة والفرات واديا خصيبا عرف باسم أرض الجزيرة، ويشبه أرض وادي النيل، لتكوين كل منهما من الغرين الذي تحمله هذه الأنهار، وقد استغلت هذه الخصوبة في الزراعة، ومن أجل الزراعة عاش الإنسان في الوديان، فقامت الحضارة باديء أمرها في هذه الأماكن.

٢- وفرة المياه: تغزر المياه في نهري دجلة والفرات وفي نهر النيل طول العام، مما يجعل التربة خصيبة ويسهل الزراعة، ويدعو إلى استقرار الإنسان وتقدمه في الحضارة.

٣- المناخ: كان المناخ في كل من مصر والجزيرة أكثر اعتدالا منه في أي بقعة من بقاع الأرض، لممارسة الإنسان لنشاطه وبناء حضارته دون انشغاله في مكافحة عناصر الطبيعة.

٤- الحواجز الطبيعية: كانت مصر وبلاد الشرق القديم، بحكم ظروفها الجغرافية، بعيدة عن العوامل الهادمة للحضارة، كإغارات القبائل المتبربرة. وتمتعت شعوب وادي النيل والهلال الخصيب بسلام لم يعكره هجمات القبائل الرحل التي تعيش على الصيد والنهب، وقد اختلف طول هذه الفترة وقصرها تبعا لمناعة وموقع كل بلد من بلدان الشرق القديم. أما مصر فقد كانت بحكم موقعها ووجود الصحاري على جانبيها والبحر في

شمالها وضيق الوادي في الجنوب أسعد حظاً من بلاد ما بين النهرين وإن لم تسلم تماما من الغزو الخارجي.

مصادر دراسة الحضارات القديمة:

توجد مصادر شتى استقينا منها معلوماتنا عن هذه الحقبة من تاريخ مصر والشرق في عصورها السخيفة، وهذه المصادر إما طبيعية أو آثار خلفها الإنسان القديم نفسه.

أولاً: الطبيعة المصرية كمصدر:

مصر هي هبة النيل، ولولاه لكانت مصر صحراء جرداء لا حياة فيها ولا استقرار. ولا قامت فيها الحضارة الزهراء: فإن النيل هو باعث الحياة في مصر، ومنه استمد المصريون القدماء قدرتهم على الإبداع والتصوير.

ولولا النيل، لما عرف المصريون الزراعة، وما قسموا السنة إلى فصول، ولولاه ما عرفوا الحساب والإحصاء وغير ذلك. ثم نتبع مصادر الطبيعة الأخرى فنرى النيل يسير في وادي تحفه الصحراء الشرقية شرقاً، والصحراء الغربية غرباً، وتقع مصر بين البحر المتوسط شمالاً والبحر الأحمر شرقاً.

وتدخل النيل في تقرير نوع الحياة التي يحياها المصريون من ترحال إلى استقرار، ومن استجداء الطبيعة إلى وجود محاصيل ثابتة، ومن خوف إلى اطمئنان وهكذا.

ثانياً الآثار:

وهي تعتبر سجلاً حافلاً بتاريخ وحضارة الأقدمين، وإن ما وجد من آثار يعبر تعبيرا صادقا عن الحياة في مصر الفرعونية وبلاد الشرق القديم والأدوار التي مرت بها هذه الحياة.

ومن الآثار التي استقينا منها معظم معلوماتنا عن هذه الحياة: المقابر والمعابد والأهرام والمسلسلات والتماثيل، وتتجلى أهمية الآثار فيما وجد عليها من نقوش وكتابات سجلت كثيراً من الأحداث سواء ما كان منها خاصا بسير الملوك وحروبهم وانتصاراتهم والأمراء والوزراء وأعمالهم.

وألقت الآثار أضواء على ديانة الأقدمين ومعتقداتهم ومعبوداتهم، وأعطت صوراً للفلاح المصري في حقله والعامل وفنه والجندي في ميدان القتال وهكذا وهي تشمل:

١- المقابر: وتتضمن تفاصيل عن حياة المتوفي وأعماله، وكثيراً ما شملت مظاهر التشريف التي كان يغدقها الملك عليه، والحديث الذي يدور بينه وبين الملك كل يوم، والامتيازات التي كان يتمتع بها نتيجة اتصاله

بالملك، وتجد عليها صورة خطاب من الملك إليه، مما أكسب نقوش المقابر قيمة تاريخية كبيرة.

٢- الألواح الحجرية: وتدون على جانبها بيانات عن أعمال الملوك وفتوحاتهم وأسماء قوادهم وازداد عددها في الأسرة الخامسة في محاجر الحمامات بالصحراء الشرقية بين فقط والبحر الأحمر، وفي الدولة الوسطى المصرية ظهرت النصب التذكارية التي كان الموظفون يسجلون عليها أعمالهم ومهامهم المختلفة. ومن أشهر هذه القوائم أو الألواح الحجرية:

(أ) قائمة بالرمو: وقد ودونت عليها أسماء الملوك من عصر فجر التاريخ حتى عصر الأسرة الخامسة.

(ب) قائمة الكرنك: وقد دونت عليها أسماء الملوك من الأسرة الأولى حتى الأسرة ١٨، وشملت نحو ٦١ من أسماء الفراعنة.

(ج) قائمة أبيدوس: وقد دونت عليها أسماء الملوك حتى الأسرة التاسعة عشرة، ولكن ليس عليها أسماء ملوك الهكسوس.

(د) قائمة سقارة: وقد كتبت على جدران مقبرة زيلاي، أحد الأشراف المعاصرين للملك رمسيس الثاني، وهي تخلو من أسماء ملوك عصري الاضمحلال الأول والثاني.

(هـ) قائمة ورقة تورين البردية: وقد دون عليها أسماء الملوك حتى الأسرة التاسعة عشرة، وتمتاز بذكر مدد حكم الملوك بالسنة والشهر واليوم.

وقد كتب على هذه القوائم: أسماء ملوك بعض الأسرات، وهي تختلف عن بعضها البعض من حيث دقة البيانات المكتوبة على كل منها، كما أنها لا تفيد الطالب العادي كمصدر، ولكنها ذات فائدة عظمى للباحثين في تاريخ مصر القديم.

ثالثاً: النقوش القديمة:ـ

كانت أغلب الآثار المصرية القديمة مزينة بالصور والنقوش والكتابات ومعظمها مسطر على ورق البردي ومنقوش على قطع الجلد والخشب والأواني، وكلها وثائق أصيلة لتاريخ مصر والشرق القديم، في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنظم الحكومية والعبادات.

رابعاً ـ المؤرخون القدامى ـ ومن أشهرهم:

١- مانيتون المصري: وهو مؤرخ مصري عاش في مصر في حكم بطليموس الثاني، وكان يجيد اللغة اليونانية إجادة تامة، وساعده ذلك على تأليف كتاب حوالي سنة ٢٧٠ق.م عن تاريخ مصر القديم، يعد أهم مرجع كتب باليونانية عن مصر، ويقع في ثلاثة أجزاء: الأول للتاريخ، والثاني للديانة، والثالث للحياة الاجتماعية وملاحظاته الشخصية، وقسم مانيتون

ملوك مصر إلى ثلاثين أسرة، ويظهر أنه محق في هذا التقسيم لأن الآثار التي عثر عليها حديثاً تؤيد صدق ما ذهب إليه، ولا يوجد كتاب مانيتون الآن، ولكن المعلومات التي وردت فيه نقلها عنه بعض المؤرخين الذين عاشوا بعده بضع سنين.

٢- هيرودوت الإغريقي: ويلقب بأبي التاريخ، لأنه أول من وضع الأساس الأول لعلم التاريخ، ولد سنة ٤٨٤ق.م ببلدة في آسيا الصغرى، كانت تابعة لدولة الفرس، لذا كان هيرودوت فارسيا بحكم التبعية وإغريقيا من جهة الأصل لأن والديه كان إغريقيين، وقيل إنه زين للأهلين التحرر من حكم الفرس، وأتم دراسته عند بلوغه سن الثامنة عشرة وتفرغ لدراسة الأدب وعكف على البحث حتى عد في مصاف علماء عصره.

وقام هيرودوت بعدة رحلات، وهو بين العشرين والخامسة والثلاثين من عمره، وجاءت زيارة هيردودت لمصر حوالي سنة ٤٦٠ق.م في أثناء يشوب الحرب بين مصر وبين دولة الفرس. واستقبل المصريون هيردوت بالحفاوة والتكريم لأنه كان معروفا عندهم بغزارة علمه وسعة معارفه، ورحل عن مصر سنة ٤٥٠ ق.م، بعد أن شرح تاريخ الفراعنة في الجزء الثاني من كتابه الذي يقع في تسعة أجزاء المسمى «التاريخ». وخصص هيرودوت بقية أجزاء هذا الكتاب لوصف الحروب بين الإغريق والأقاليم المجاورة، وبين الفرس والإغريق، وتاريخ مصر القديم.

ويزعم المؤرخون أن مؤلفاته لا يركن إلى صحتها لأنه جمع معظمها من أحاديث الناس وأقاويلهم، كما أن بعض العلماء وصف عقلية هيرودوت بأنها كانت ضعيفة وأنه كان كثير السهو والنسيان وكان يسرد الحوادث التاريخية كما سمعها دون بيان رأيه الخاص، ورغم ذلك، فإن مؤلفات هيرودوت تعد تاريخية عالمية.

٣- ديودور الصقلي: وهو من جزيرة صقلية، جاء إلى مصر حوالي سنة ٥٩ ق.م وقد كتب كتاباً باللغة اليونانية شرح فيه أساليب المصرية والمعتقدات الدينية وصبغ كتابه بصبغة فلسفية.

٤- بلوتارخ الروماني: جاء إلى مصر في القرن الثاني الميلادي، وأقام فيها فترة طويلة، وكتب فضولا شتى عن المعبودات التي عبدها القدماء وعن عقائدهم الدينية. وقد ركز كتاباته في المعبودين المصرين، إيزيس وأوزوريس، واشتهر بأمانته في كتاباته وحرصه فيما صورة للناس عن مشاهداته وحقائقه التي دونها.

خامساً: فك رموز الكتابات القديمة:

قدم الفرنسيون الشرقيون وهم لا يعلمون عن أحواله إلا ما نقله إليهم الرحالة الغربيون، فعملوا على أن يحكموا الأقطار بالسياسة والعلم، وعمدوا إلى بحث شئون الشرق على أسس علمية، فاصطحب نابليون معه في حملته على مصر ١٤٦ من أشهر علماء فرنسا وأحضر معه مطبعة عربية وأفرنجية والآلات والأدوات والمعامل، وكان من آثار ذلك أن درس

الفرنسيون الآثار القديمة في الشرق، وضمت نتائج أبحاث هؤلاء العلماء في كتاب «وصف مصر».

وكشف علماء فرنسا عن حجر من البازلت الأسود وجد في رشيد أيام الحملة الفرنسية، وكان هذا الحجر مكتوبا بثلاث لغات مختلفة هي: الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية. وقد كتب هذا الحجر في عصر بطليموس الخامس الذي حكم مصر حوالي سنة ١٩٧ ق.م. وحل العالم الفرنسي شامبليون رموز الهيروغليفية بمقارنة الحروف اليونانية بمثيلاتها الهيروغليفية وأمكن له قراءتها دون أن يفهم معنى لها، ولكنه تمكن بواسطة دراسة اللغة القبطيلة (وهي مزيج من اللغة الديموطيقية واليونانية القديمة) من معرفة الترجمة الصحيحة للكتابة الهيروغليفية.



سادساً ـ الحفائر والأبحاث العلمية:

أوفدت الحكومات الأجنبية عددا من علمائها إلى مصر والشرق، لدراسة الآثار، واقتفى هؤلاء إثر شاملبليون الفرنسي، ومن أبرزهم:

١– العالم الإنجليزي رولنسون: الذي عثر على صخرة في الطريق بين بابل وفارس، عليها كتابة فارسية، فيها يعدد ملك الفرس دارا انتصاراته واستطاع رولنسون بمارنة الكتابتين من فك رموز الكتابة البابلية.

٢– العالم الفرنسي مريت: الذي أنشأ المتحف المصري وأسس معهد لتخريج إخصائيين في الآثار وكشف عن كثير من الآثار في منطقة سقارة.

٣– العالم الألماني بروكش: الذي أنشأ في مصر أول مدرسة لتثقيف المصريين في الدراسات المصرية القديمة.

٤– العالم الإنجليزي كارتر: الذي يرجع إليه الفضل في كشف احتواها قبر توت عنخ آمون من ملوك الأسرة ١٨. وظل أمرها مجهولاً منذ وفاته إلى أن عثر عليها كارتر في قبر هذا الملك، وذلك عام ١٩٢٢، وهي مدة تزيد عن ثلاثة آلاف سنة.

القسم الأول

الحضارة المصرية القديمة

الباب الأول

نشأة هذا الوطن

١- تكوينه

من المعروف جغرافيا أن الأراضي المصرية كانت مطمورة تحت مياه البحر المتوسط، وبمرور الزمن انحسر عنها الماء. واتخذ النيل طريقة ناحية الشمال، متغلبا على كل ما صادفه في طريقه من الموانع الطبيعية كالصخور.

وبعد ذلك يأتي دور النهر في ترسيب ما علق بمياهه من غرين خصب، جرفه التيار من تربة الحبشة، وكان هذا هو العامل الأول في تكوين الدلتا المصرية من عدة فروع لم يبق الآن منها سوى فرعي رشيد ودمياط، وقد ساعد في عملية الترسيب عدة عوامل منها بطء التتار وكثرة ما تحمله المياه من رواسب ثم قلة عمق البحر. وقد هاجر إلى وادي النيل ودلتاه، كثير من سكان صحراوات مصر، عقب الجفاف الذي حل بتلك الصحراوات.

أقسام مصر الطبيعية

يمكن اعتبار حوض النيل الأوسط والأدنى في شمال السودان وفي مصر إقليماً واحداً متماسك الأجزاء، ويمكن تقسيمه إلى:

١- إقليم النوبة وهي بدورها تنقسم إلى قسمين:

(أ) النوبة الجنوبية (ب) النوبة الشمالية

٢- إقليم إدفو.

٣- إقليم ثنية قنا

٤- إقليم مصر الوسطى ومصر العليا الشمالية.

٥- إقليم الفيوم

وأهم الأقسام الطبيعية:

١- وادي النيل: أما عن الوادي وهو المسافة التي تمتد من الشلال الأول حتى شمال القاهرة والتي يبلغ طولها حوالي ٧٥٠ كيلو مترا، فإنه يمتاز بخصوبة أرضه التي كساها النهر بالغرين سنويا بعد فيضانه، ويمثل هذا الوادي مصر العليا (الصعيد) وهو واد ضيق، أثر ضيقة في عقلية المصريين وفي معلوماتهم الجغرافية. وقد قام أهل الصعيد بدور هام في سبيل وحدة

البلاد والمحافظة على كيانها واستقلالها طوال هذه الحقبة من تاريخ مصر القديم، لما اتصفوا به من التماسك والحماس.

٢- الدلتا: كانت الدلتا في باديء الأمر خليجاً بحرياً، وقد صنعها طمي النيل، وفيها تتسع الأراضي عن اليمين وعن الشمال، حتى برع سكان الدلتا في علومهم واتساع أفقهم، وتتشعب أفرع النيل التي كانت في الماضي أكثر عدداً منها الآن، إذ بلغ عددها سبعة في أيام الرومان، وكانت الدلتا سهلة الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق البحر شمالا فاتصلت حضارتها بالخارج، لذلك كان هذا الإقليم منذ عصر ما قبل التاريخ أكثر تقدما وأوفر خصبا من الصعيد، ولكنه كان في الوقت نفسه أكثر تعرضا للغزاة الذين طمعوا فيه واندفعوا نحوه، ولا سيما في فترات الضعف السياسي والاجتماعي في مصر القديمة، ومع ذلك فإن للدلتا فضلاً كبيراً في احتفاظ مصر بطابعها في الحضارة والمدنية.

ونشأت في الدلتا عدة عواصم قديمة منها بوتو وسايس (صان الحجر) وتانيس (صان الحجر) وغيرها. وكانت الدلتا بطبيعتها أقل تماسكاً ونظاماً من الصعيد وأهلها أقل عصبية من أهله، وذلك أدى إلى تفكك الدلتا منذ فجر التاريخ من الناحية الإدارية والسياسية.

٣- الأقاليم الصحراوية على جانبي النيل:

(أ) الصحراء الغربية (صحراء ليبيا): وهي جزء من الصحراء الكبرى تتخللها الواحات، وأهم منخفضات الصحراء الغربية هو منخفض الفيوم

الذي كانت التلال تفصله عن وادي النيل، ولكن مياه النيل وصلته عن طريق بحر يوسف أحد أفرع النيل، فصار منخفض الفيوم خصباً وأقام أهله حضارة عريقة.

(ب) الصحراء الشرقية (صحراء العرب): وفيها تقل المنخفضات وتكثر الأودية الجافة التي تصل النيل بالبحر الأحمر، وقام المصريون بتعبيد الطرق في تلك الأودية وأهمها طريق وادي الحمامات بين فقط والقصير، وعن طريقه وصلوا إلى ثغور البحر الأحمر، وأهم أجزاء الصحراء الشرقية هي شبه جزيرة سيناء التي فصلها خليج السويس عن الصحراء.

وكان لهذه الصحاري أثر هام في تاريخ مصر العام، فقد كانت الصحاري في العصر الحجري القديم، المسرح الأول للنشاط البشري في هذا الركن من إفريقية، ونزل السكان بعد ذلك إلى وادي النيل واضطروا إلى الإقامة على ضفافه، ولم يقطعوا مع ذلك صلتهم بالصحراء لأنها كانت غنية بالمعادن والصخور ولأنهم اعتبروها الحصن الذي يقيها شر الغزوات، ولولا وجود هذه الصحاري على جانبي النيل لتغير وجه التاريخ في كثير من نواحيه.

٢ـ العوامل الجغرافية التي ساعدت على قيام الحضارة:

١– نهر النيل:

يعد نهر النيل من أكبر العوامل في تكوين مصر الجغرافي والتاريخي وفي تشكيل مدنيتها، إذ لولاه لكانت مصر صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، حتى وصفت بأنها هدية النيل:

(أ) جعل النيل مصر بلداً زراعياً، فقط جلب لأرضها الخصب والنماء، وعلم المصري أثر الزراعة في حياته، فعنى بأعمال الري بإقامة الجسور وحفر الترع والقنوات، وأصبح كيان مصر السياسي مبنيا على خصوبة أرضها وعلى مقدارها ما يستغل منها، وبفضله صارت مصر من أكثر الأقاليم خصوبة وأوفرها ثروة.

(ب) وفي سبيل إقامة المنشئات اللازمة لري الأراضي، تعاون المصريون واتحدوا بعضهم مع بعض فتعلموا الاتحاد، وبذا تسبب النيل في وحدة مصر وانعزالها عن غيرها من الأقاليم، وذلك حفظ مصر من تعدد الغزاة وتركها ازمانا طويلة في سلام تنعم بالرقي.

(ج) أن فيضان النيل على جانبيه في العصور الأولى، سبب وجود كثير من الغابات تتخللها المستنقعات أيام الفيضان، وإلى هذه المستنقعات والغابات، كانت تأوي التماسيح وأفراس البحر والفيلة، ولكن بانتشار الزراعة وتقدير الإنسان المتزايد لقيمتها كأساس للحياة الاقتصادية، بدأت

هذه المستنقعات والغابات في الانقراض، وانقراض معها كثير من الحيوانات التي تأوى إليها، وليس من السهل أن نبين منى بدأ سكان مصر في زراعة أرضهم وفي القضاء على ما كان يعترض الزراعة من الغابات والمستنقعات، على أنه مع ذلك كان سكان مصر أول من احترف الزراعة.

(د) علم النيل المصريين النظر في النجوم، فرصدوها وأقاموا المراصد للنظر في سيرة الشمس والنجوم، حتى استطاعوا إنشاء التقويم القبطي الذي نهتدي به إلى اليوم في حياتنا الزراعية.

(هـ) ولأهمية نهر النيل، عنى المصريون بدراسة أحواله وقياس ارتفاعه وانخفاضه، ومعرفة مواعيد فيضانه، مما أدى إلى اختراعهم لعلوم الهندسة والحساب والإحصاء. وعلم النيل المصريين بناء السفن وارتبطوا وتعاونوا وانتشروا على ضفافه وكافحوا لنشر الحضارة والعمران، لذلك قدس المصريون، حكومةً وشعباً، فيضان النيل، فأقيمت من أجله كل عام الاحتفالات العظيمة، حيث تتلى الأناشيد وتلقى فيه الهدايا تقربا إلى حابي النيل، ويخرجون إلى النهر ويركبون القوارب ويشربون ويعمهم السرور والانشراح.

٢- موقع مصر الجغرافي:

تقع مصر عند ملتقى قارتي إفريقية وآسيا، ويمدهما بحران أحدهما في الشمال هو البحر الأبيض المتوسط والثاني في الشرق هو البحر الأحمر، وقد أثر موقع مصر فيما يلي:

(أ) أصبحت هناك طرق تجارية لتصريف المنتجات المصرية واستيراد الحاصلات الخارجية.

(ب) صارت مصر هدفاً لغارات سكان غربي آسيا، كما أن القبائل الليبية التي كثيرا ما أغارت على غرب الدلتا قد هددت سلامة مصر بأجمعها، وكان العبء يقع على أهل الدلتا في صد هذه الغزوات التي كلفتها كثيراً من المال والرجال، أما الوجه القبلي فكان بعيداً عن هدف الغارات التي تعرضت لها الدلتا كما كان من المتيسر لأهل الصعيد الدفاع عن أرضهم من ناحية الشمال والجنوب.

٢- مناخ مصر:

حبا الله مناخ مصر مناخاً جميلاً معتدل الحرارة والرطوبة، كان له أعظم الآثار في نشاط المصري حتى ظهرا في مصر حضارة، تجلت في تلك الآثار الخالدة التي خلفها المصريون القدماء وفي حفظ الآثار المصرية بصورة جيدة عرفنا منها تاريخ أول وأعظم حضارة ظهرت في العالم.

٤- حماية الطبيعة لحدود مصر:

كانت الحدود الطبيعية بمثابة الحارس الأمين لمصر وأهلها بل سداً منيعاً في وجه الغزوات التي كانت تهددها.

وتحد مصر شمالاً بالبحر الأبيض المتوسط الذي وقف حاجزاً بين مصر وأوروبا، بينما أصبح الآن وسيلة الاتصال بينهما، وكانت الصحراء الشرقية والصحراء الغربية بمثابة القلاع الطبيعية التي حالت دون تدفق هجرات الأجناس المختلفة إليها.

٥- ثروات مصر المعدنية:

حبت الطبيعة أرض مصر بكثير من المعادن، فقد عثر في أرضها على الذهب والنحاس والحديد وبعض الأحجار الكريمة. وتعددت أنواع الصخور واختلفت أشكالها وألوانها.

وكان لهذه الوفرة من المعادن والصخور أثر كبير في نبوغ المصريين في الفنون، فمنها نحتوا تماثيلهم وبنوا أهرامهم ومعابدهم، كما صاغوا حليهم التي نهضت دليلاً على رقي الذوق عندهم وبراعتهم في الفنون والصناعات.

الباب الثاني

الحضارة المصرية في عصر ما قبل التاريخ

مر الإنسان في العصور القديمة في دور تطوره ورقيه بعصرين هامين: الأول هو العصر الحجري القديم، والثاني هو العصر الحجري الحديث.

ذلك أن الإنسان الأول اجتاز أولا الدور الذي لم يكن له فيه من آلة أو من معدات سوى أسنانه وأظافره وأيديه التي كان يستعملها في قضاء حاجاته، وكان بذلك أشبه شيء بالحيوان، وبدأ بعد ذلك يتخذ لنفسه من الآلات ما يلائم درجة رقيه، فاتخذها من الأحجار ثم من البرنز ثم من الحديد، وأثبت ما عمل من الأبحاث الجيولوجية.

(أ) الحياة المصرية في العصر الحجري القديم:

كانت الأمطار في العصر الحجري القديم نسقط بغزارة، حتى امتلأ وادي النيل بالمياه وأصبح غير صالح للسكن، فالتجأ المصريون إلى التلال والهضاب المحيطة بالوادي. ووجدت على هذه الهضاب وفي بعض أقاليم الصحراء ثروة نباتية هي عبارة عن حشائش وأعشاب تعيش عليها الحيوانات.

وعاش المصري في هذا العصر عيشة بدائية على الفطرة: فلم يستقر في مكان، ولم يستأنس الحيوان، ولم يعرف الزراعة، وسكن الكهوف، واعتمد في حياته على الصيد والقنص والتقاط الثمار. واستعمل آلات وأسلحة ثقيلة الوزن مثل الفأس والقبضة صنعت من الأحجار وخاصة من حجر الصوان، وما لبثوا أن صنعوها من العظم والخشب وصارت متقنة دقيقة مثل النصال المثلثة الشكل.

(ب) الحياة المصرية في العصر الحجري الحديث:

ويبدأ العصر الحجري الحديث، في الوقت الذي قلت فيه الأمطار عما كانت عليه في العصر الحجري الأول وانتشر الجفاف في المناطق الصحراوية، ولذا قامت هجرة السكان من الصحراء إلى وادي النيل ليستقروا حول مصادر المياه الدائمة.

ومن مظاهر الحضارة في هذا العصر:

١- عرف الإنسان الزراعة واستأنس الحيوان وعنى بتربيته، ولما كانت الزراعة حرفة تقتضي حياة الاستقرار وتحتاج إلى تعاون تام بين عناصر السكان، فقد بدأ ظهور الصورة الأولى للمجتمع المصري القديم في العصر الحجري الحديث على هيئة جماعات ثم عاشت تلك الجماعات في قرى ثم في مدن، وقد فتحت الزراعة أمام المصري القديم آفاق الحياة الاجتماعية الفاضلة، فعرف تربية الحيوان وتعلم طرق خزن المحصول وعرف مواعيد

الحصاد والبذر وقامت الحرف الأولى اللازمة للزراعة كصناعة الفؤوس والمناجل وسلال الغاب.

٢- قام الإنسان لأول مرة بعمل أسلحة دقيقة الصنع من المخارز والإبر وأيدي الفؤوس من عظام الحيوان والخشب وصنع الأكواب والأباريق، وصنع التماثيل من الطين والفخار والخشب والأحجار، وعمل الخواتم والأساور والأقراط والعقود من الحجر أو العاج أو العظم أو البرنز وهي مما تحلى به نساء ذلك العصر.

٣- عرف الإنسان صناعة أواني فخارية، متعددة الأشكال، متنوعة الألوان، ومزينة بنقوش تمثل الناس والحيوانات والطيور والأشجار، وكان عند مدخل كل مسكن للمصري القديم موقد، بجواره بعض قدور فخارية لحفظ الماء والطعام والحبوب.

٤- برع المصري القديم في زراعة الكتان ونسج أليافه وصناعة الملابس من التيل وجلود وأصواف الحيوانات.

٥- اعتقد المصري القديم في البعث بدليل ما عثر عليه في قبورهم من طعام وشراب، كما أنه قدس الحيوانات والطير بدليل ما عثر عليه في مقابر الآدميين في البدارى من رفات بعض الحيوانات.

٦- اعتاد المصريون القدماء دفن موتاهم في حجرة مستديرة أو مستطيلة، فيضعوا الجثة على الجانب الأيسر والرأس ناحية الجنوب،

ويوضع مع الميت بعض الأشياء التي كان يستعملها في حياته، ثم تغطى الحفرة بجذوع الأشجار والطين أو يهال عليها الرمل، وبمرور الزمن أدخلت تعديلات كثيرة على أحجام قبورها وأشكالها، فألحقوا بحجرة الدفن حجرات أخرى ليضعوا فيها أواني الطعام والشراب وما كان يستعمله الميت من حلي وأدوات زينة وأسلحة، وكان لسكان كل مقاطعة من مقاطعات مصر طريقتهم الخاصة في دفن موتاهم، فمنهم من جعلوا قبورهم قرب منازلهم وبينها كما فعل سكان مرمرة بني سلامة، ومنهم من جعل قبورهم بعيدة عن منازلهم أو على بعد قريب كما فعل أهل العمري وحلوان.

٧- بنى المصري القديم مسكنه من النبات والطين، وأوجد فيه: حظيرة لإيواء البهائم، ومخازن للغلال، وسرر مجدولة قوائمها من خشب كما وجد في منازل أهل البدارى، ووضعت نظم خاصة لبناء مساكن مرمرة بني سلامة حيث بنيت المساكن على جانبي طريق مستقيم. ولبس المصري القديم قميصاً مصنوعاً من الجلد أو من التيل، وارتدت النساء ثيابا طويلة مصنوعة من القماش تصل إلى أقدامهن وكن يوشمن أنفسهن.

٧- استخدم المصريون القدماء، المعادن. فقد اكتشف النحاس في شبه جزيرة سيناء حوالي سنة ٤٠٠٠ ق.م وصنعوا منه الأسلحة والأدوات، وازدهرت الحضارة في هذا العصر عندما اكتشف عن الحديد والذهب والفضة. وتقدمت صناعة نقش العاج وصناعة الحلي الذهبية والفضية وصناعة المدى والسكاكين، وهكذا يعتبر كشف المعادن قنطرة وصلت حضارة العصور الحجرية بحضارة عصر الأسرات.

الباب الثالث

الحضارة في عصر الاتحاد

توحيد المملكتين

تطور حياة المصري القديم: مرت حياة المصري القديم في عدة أدوار:

١- بدأت معرفة الإنسان بالصيد: عندما طارد الحيوانات في الغابات.

٢- وانتقل إلى حياة الرعي: عندما عني بتربية الحيوانات وزيادة عددها والتنقل وراء الجهات التي تكثر فيها الأعشاب والحشائش لتعيش عليها هذه الحيوانات.

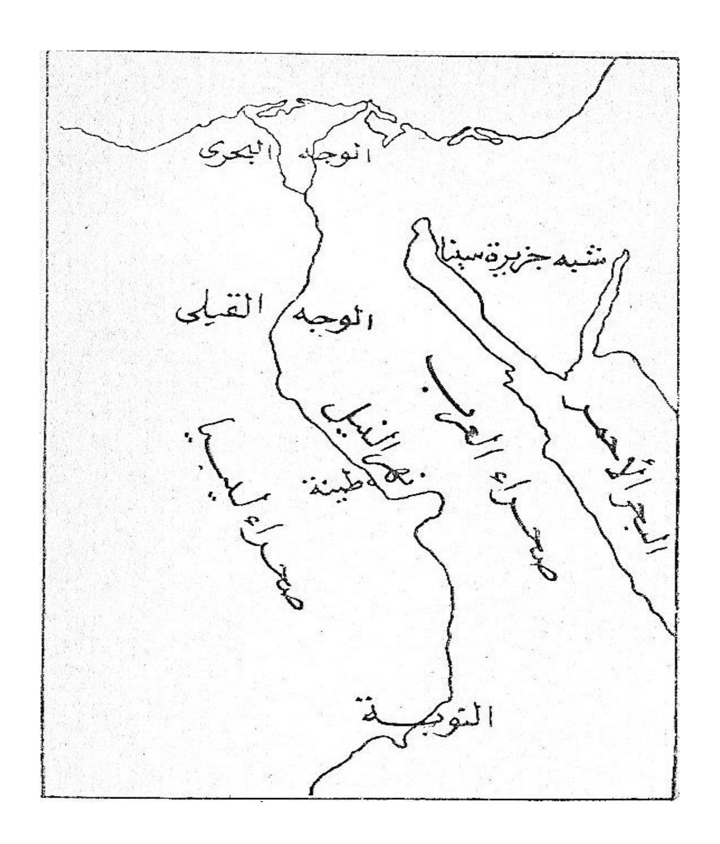
٣- وعرف الزراعة: فقد نبتت بأرض مصر المحصولات التي يتغذى بها الإنسان والحيوان، وعرفت أرض مصر بالخصب، وأقام الإنسان وعائلته على مقربة من أرضه، فتكونت الأسرة، وسكنت كل أسرة إلى جوار أرضها، وعرف المصري عن طريق «الزراعة» حياة الاستقرار.

مراحل توحيد مصر: مر قيام حكومة موحدة في مصر في عدة أدوار:

١- تكونت «الأسرات» في مصر القديمة، وباجتماع الأسرات بعضها مع بعض، عاش سكان مصر القدماء قبائل متفرقة، متنازعة، فيما بينها. ويكون النصر والسيادة للأقوى منها، وكان لكل منها شارة تدل على القبيلة.

٢- وعندما ظهرت الزراعة في مصر، استقرت كل قبيلة في قطعة من أرض عرفت باسم المحلة وبنيت مساكنها، وباجتماع القبائل تكونت العشيرة التي سكنت القرية، ثم المدينة عند ازدياد عدد أفرادها ولكل منها حاكم وشعار معين.

٣- اندمجت المدن والقرى، بعضها في البعض، ونشأ عن ذلك عدة مقاطعات أو أمارات لكل منها رئيس هو إله القبيلة.

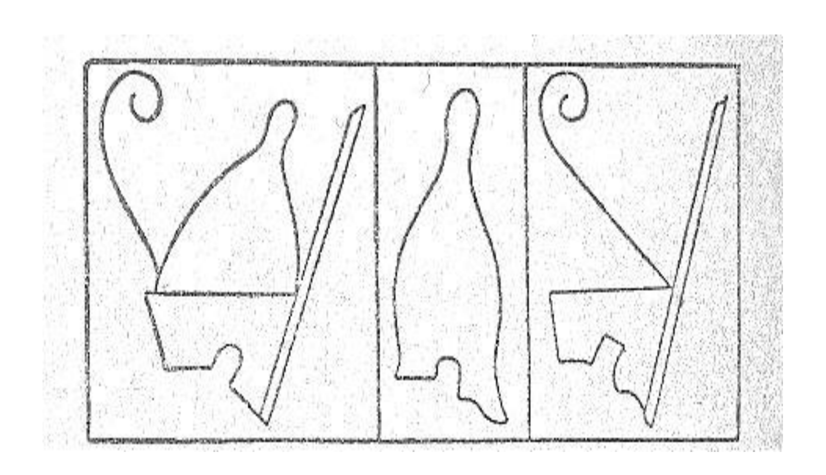


توحيد القطرين

تكوين مملكتي الشمال والجنوب: وبانضمام تلك المقاطعات، الواحدة في الأخرى، نشأت مملكتان كبيرتان:

(أ) الأولى في الشمال أو الوجه البحري ولها ملك يلبس تاجا أحمر ورمزها نبات البردي وعاصمتها بوتو، المعروفة الآن باسم تل الفراعين شمال دسوق.

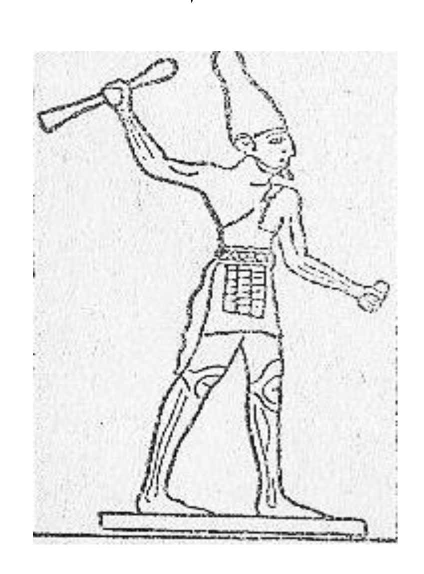
(ب) والثانية في الجنوب أو الصعيد وعلى رأسها ملك يلبس تاجا أبيض وشعارها نبات اللوتس وعاصمتها مدينة نخن، على مقربة من مدينة إدفو.

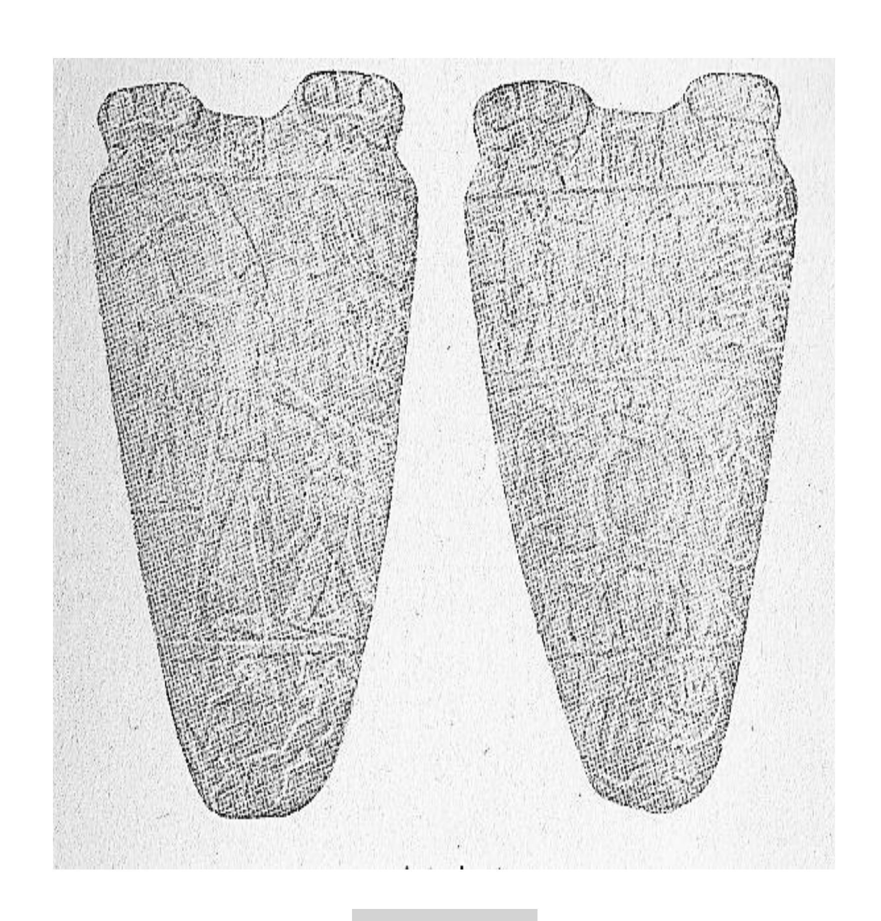


وكان لكل من هاتين العاصمتين معبود خاص يرعاها، فكان معبود الشمال يرمز له بافعى تسمى بوتو، ومعبود نخن يرمز له بطائر يشبه النسر، أما المعبود خوريس (ويرمز له بالصقر) فكان يعبد في كلتا العاصمتين.

حركة التوحيد: حاول بعض ملوك مصر في عصر ما قبل الأسرات، وتوحيد مملكة الشمال أو الوجه البحري ومملكة الجنوب أو الوجه القبلي، وقد نجح أحد ملوك الوجه البحري في إتمام الاتحاد سنة **٤٢٤٥** ق.م، إلا أن التنافس بين الدولتين سرعان ما فصم عرى هذا الاتحاد، ولكن بعد ألف سنة قام حاكم من حكام الوجه القبلي بمحاربة الوجه البحري وهزم حاكمه وكون من الوجهين مملكة واحدة تدين له بالطاعة والولاء.

وتضاربت الآراء فيمن يكون هذا الملك فقيل إنه مينا أول ملوك الأسرة الأولى، وقال آخرون إنه نارمر، ويعتقد غالبية المؤرخين أن مينا هو نارمر فقد عرفنا أخبار هذا الاتحاد من لوح كبير من الأردواز وجد في هيراكوبوليس ويسمى «لوح نارمر» نقش على أحد وجهيه: رسم يمثل الملك نارمر واقفا، وعلى رأسه تاج الوجه القبلي الأبيض يمسك بيده اليمنى صولجانا ويقبض بيده اليسرى أسيرا من الأسرى، وأمامه حوريس معبود الدلتا واقفا فوق رأس أسير. أما على الوجه الآخر –وهو الأهم من الناحية التاريخية– فقد رسم الملك وعلى رأسه التاج الأحمر الخاص بالوجه البحري وأمامه أعلام القبائل التي اتحدت معه، وفي أسفل اللوح رسم الملك على هيئة ثور كاسر يفتك بالعدو ويهدم الحصون.





وجها لوحة نارمر

ويشهر هذا العصر باسم عصر الاتحاد، لأن مينا نجح في توحيد القطرين (الصعيد والدلتا) وذلك حوالي عام ٣٤٠٠ ق.م، ولما تم له ذلك أعلن في البلاد قانونا عاما أوحى إليه به الإله توت، وأقام أول الأسر المالكة التاريخية، وشيد عاصمة لملكة في مركز وسط بين الدلتا والصعيد عرفت في عهده باسم القلعة البيضاء أو المدينة ذات الجدار الأبيض

وأطلق عليها بعد ذلك اسم منف أو منفيس، ورد هجمات الليبين عن مصر واستولى على ليبيا وحارب أهل النوبة وضم النوبة إلى مصر.

تطور الحضارة: وشمل عصر التوحيد، عهد الأسرتين الأولى والثانية في تاريخ مصر القديم. وقد وضع ملوك هاتين الأسرتين، قواعد الحضارة الزاهرة التي باهت بها مصر كل أمم التاريخ القديم، بما قاموا به من أعمال في سبيل المحافظة على اتحاد مصر وتقويتها وامتداد نفوذها.

وفي الأسرة الثالثة: ابتدع المصري قطعا صناعية جميلة تثير في نفس المتأمل فيها عاطفة الإعجاب، فقد دخل المصري غمار الفن الصناعي، ولابد أن يأخذك العجب من قوم في حالة السذاجة يرسمون على الأحجار صور ملوكهم، وبدئ في عصر الأسرة الثانية البناء بالأحجار وهي خطوة جريئة يعتد بها في تقدم الفن عند المصريين بعد أن كانوا يستعملون الطين والسعف، وقد وجدت لذلك خاسخمون، أحد ملوك هذه الأسرة، مصطبة، يصح أن تعد فتحاً جديداً في تاريخ بناء الأهرام التي بنيت في عهد الأسرات التي تلت الأسرة الثانية.

الباب الرابع

حضارة الدولة القديمة ٣٠٠٠ـ ٢٥٠٠ ق.م

تاريخ الدولة القديمة السياسي :

تنقسم الدولة القديمة إلى قسمين رئيسيين:

الأول– عهد القوة والعظمة ويشمل عهد الأسرات ٣ و٤ و٥ و٦

الثاني– عهد الانحلال الأول، ويشمل عهد الأسرات ٧ و٨ و٩ و.١٠

١ـ الأسرات ٣ و٤ و٥ و٦:

امتازت الدولة القديمة ببناء الأهرامات، ولذا سمى عهدها بعصر بناء الأهرامات، واعتبرت حضارة التوحيد القنطرة الموصلة لحضارة عصر الأهرام.

وبنى أول ملوك الأسرة الثالثة (زوسر) هرم سقارة المدرج ليكون مقبرة له، ويعتبر هذا الهرم المدرج أول بناء حجري ضخم في الدولة القديمة، على أنه بينما كان ملوك الأسرة الرابعة يهتمون ببناء أهرام تناطح الزمن وخالية من النصوص الدينية، عمد ملوك الأسرة الخامسة إلى بناء الأهرام الصغيرة التي تحوي نصوص دينية، وكانت هذه الفترة فترة: إصلاح

وتعمير وإنشاء حيث عاشت البلاد في أمن وطمأنينة، وقد تقدمت فنون النحت وعمارة البناء تقدما ملموساً وينهض دليلاً على ذلك أهرامات خوفو وخفرع ومتفرع، كما تقدمت علوم الفلك والرياضة، ووضع المصريون جدولا خاصا للزراعة مازلنا نسير عليه حتى الآن، كما قاموا في ذلك العهد برحلات استكشافية إلى مجاهل إفريقية، وامتاز ذلك العصر بتقدم الثقافة وازدهار الأدب الديني والأدب الاجتماعي.

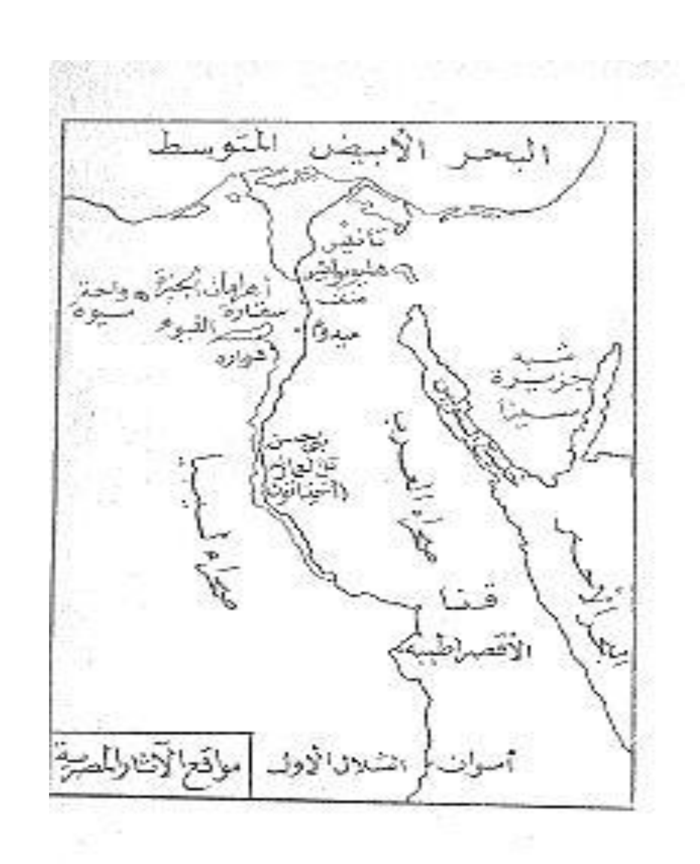
وفي عهد الأسرة الرابعة، كانت الحكومة مركزية في شخص الملك، وكان عصر هذه الأسرة عصرا حافلا بالأعمال الصناعية الفنية، وساد عهدها هدوء شامل واستقرار تام، نتيجة للمجهود السياسي العظيم الذي بذله الملك خوفو، حتى ورث خفرع عن أبيه عرشاً له من القوة والنفوذ ما أخضع كل رأس، عرشا يحفه الجلال وتعلوه الهيبة والوقار، حتى أن الملك كان مبجلاً من الشعب كإله وإن لم يمنعه ذلك من الاتصال برعاياه.

٢ـ الأسرات ٧ و٨ و٩ و١٠ـ عصر الاضمحلال الأول:

أعرض المجد بوجه عام عن الدولة القديمة، فأخذت شمسا الساطعة تنحدر نحو المغيب شيئاً فشيئاً، حتى إذا ما أدركت الغروب في أواخر الأسرة السادسة كان كل شيء قد تغير: ضعفت السلطة المركزية وسارت الدولة نحو الانحلال بخطى واسعة، وبدأ كل أمير يستقل بإمارته وينفصل عن العاصمة، وهكذا خضعت مصر تدريجيا لعهد إقطاعي.

وسادت مصر الفوضى والاضطراب، وطمع الغزاة فيها، وأخذ قطاع الطرق يرتعون في ربوع البلاد، وانتشرت العصابات تسرق دور الحكومة والمحاكم. وفي وسط تلك الفوضى، تعطلت الزراعة وندرت الحبوب وانتشر القحط وعمت الأوبئة، وعاش الناس في هم وغم، حتى كان الكبير يرد قوله: ليتني مت قبل هذا، والطفل يقول ليتني لم أولد، وحصد الموت الناس.

وتصور أحد كتاب ذلك العصر حديثاً كأنه دار بين الجسم والروح: الجسم يقول إنه تعب ويسأل الروح أن تقوده إلى حيث تغرب الشمس (إلى الموت) ويسألها: هل في الموت آلام؟ فتجيبه الروح: الموت مؤلم تسيل الدموع من أجله، يختطف الإنسان من بيته ثم يترك وحده هناك في وحشة الصحراوات. انظر إلى هؤلاء الذين شيدوا الأهرام، كيف تخربت معابدهم وخلت موائد قرابينهم، اصغ إلى أيها الجسم وعش فرحا، فيجيب الجسم: ما الفائدة من العيش؟ مع من أتحدث والنهب سائد حتى بين الأخ وأخيه؟ مع من أتحدث وفاعل الخير يجازى بالشر؟ دعيني أيتها الروح أذهب إلى وحشة هذه الهضاب.



ونتناول حضارة الدولة القديمة في مظاهر: الديانة، ونظام الحكومة، والحياة الاجتماعية، والحياة الاقتصادية، والفنون:

الديانة :

المعبودات: آمن المصريون القدماء بفكرة وجود إله خلق هذا الكون ويدير أموره وأن هذا الإله يتمثل في كل شيء، وقد عمل رجال الدين والعلماء على رسوخ هذه العقيدة في أذهانهم:

١- تخيلوا هذا الإله في الحيوان والطير وعبدوهما ثم في الحجر والشجر وقدسوهما.

٢- انتقلت هذه المعتقدات من جيل إلى جيل، ونتجت معبودات دينية جديدة، فكثرت المعبودات، واكتنفها الغموض، وتخيل فيها المصري صفات الإله من قدرة وقوة ومنفعة.

٣- اعتقد قدماء المصريين، رغم تعدد معبوداتهم، في السحر، حتى كان له شهرة كبيرة في العالم القديم، وتعددت صوره: فكانت إما تعاويذ تكتب على التوابيت وجدران القبور وعلى أوراق البردي، أو عزائم وتمائم يتلوها الكهنة أثناء الطقوس الدينية ويحملها الأحياء ويضعونها مع موتاهم لمساعدتهم في الحياة الأخرى.

٤- نشأت بين المصريين القدماء، فكرة تعدد الآلهة: فكان لكل مدينة إله خاص بها:

(أ) قدس المصريون الصقر في دمنهور وإدفو وجعلوا له أسماء مختلفة تجتمع في اسم حوريس وربطوا بين حوريس الصقر رمز الشمس وحوريس الطفل ابن المعبودة إيزيس من زوجها أوزوريس.

(ب) قدس المصريون البقر في بعض أقاليم الصعيد والدلتا.

(ج) عبد المصريون الشمس وعرفت باسم رع في هليوبوليس وصارت عبادة الإله رع رسمية في الأسرة الخامسة، وانتشرت عبادة الإله يتاح في منف عاصمة مصر منذ الأسرة الثالثة إلى نهاية الأسرة الثامنة.

(د) قدس المصريون المعبود أوزوريس إله الموتى وملك العالم الآخر في أبيدوس وهي العرابة المدفونة مركز البلينا بمديرية سوهاج، واعتقدوا في مقدرة أوزوريس وأنه هو الذي يستطيع أن يتفهم ويعطف عليهم حتى حجوا إلى مقبرته تبركا به وعللوا أنفسهم بأن يحيوا في جنة هذا الإله حياة تشبه حياتهم في الدنيا.



رع اله الشمس

عقيدة البعث والخلود: كان المصريون يعتقدون أن حياة الإنسان لا تنتهي بموته، إذ أنه يحيي في العالم الآخر حياة ثابتة، تشبه في كثير من الوجوه حياته في الدنيا، ولذا اعتقدوا أن جسم الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر، الجسم والشبح والروح:

١- الجسم: هو الهيكل اللحمي للإنسان، ويظهر يوم الحساب ويعاد تكوينه مرة ثانية على النحو الذي كان عليه في الدنيا.

٢- الشبح (كا): وهو عبارة عن صورة الشخص نفسه ولكنه كائن لا يرى.

(أ) يحلق الشبح مع الجسم، ويصحبه إلى الحياة الأخرى.

(ب) يبقى الشبح بعد الموت يمثل شخص الإنسان كما كان في الحياة.

(ج) وضع المصريون للشبح في المقبرة، المأكل والمشرب، على منضدة القرابين حتى يتمكنوا من العيش في المقبرة.

٩٣- الروح (با): وتتمثل على شكل طير، ينتقل من شجرة إلى شجرة، وترحل عن صاحبها بعد موته، وتعود إليه أحياناً، ولذا صنع المصريون تمثالا يشبه الميت حتى تعرفه الروح.

وظهرت فكرة الاحتفاظ بالجسم سليماً بعد موته، ولذا ابتكر المصريون القدماء عدة طرق لحفظه، وتفننوا في ذلك على ممر السنين، وكانوا يعمدون بعد تحنيط الجسم إلى وضعه في تابوت وتغطية الوجه بقناع يشبه الميت حتى تستدل عليه الروح بسهولة.

تطور بناء المقابر:

سببت عقيدة الخلود والبعث بعد الموت لدى المصريين فكرة العناية بمقابر موتاهم عناية كبيرة فشيدوا المقابر تحت الأرض في رمرال الصحراء أو في الصخور ثم بنيت على شكل أهرامات، لاتخاذها دورا يحفظون فيها أجسادهم. وقد مر بناء المقابر بالأدوار التالية:

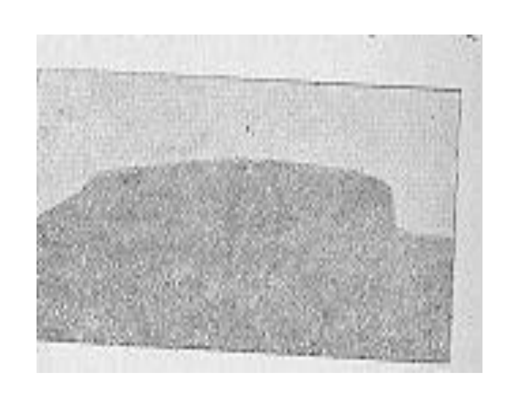
١- كانت المقبرة في أيام الأسرتين الأولى والثانية، عبارة عن حجرتين من الآجر (الطوب الأحمر): الأولى لحفظ الجسم والثانية بها حاجات المبيت.



المقبرة فى الأسرتين ١.٢

٣- وفي الأسرة الثالثة، بنيت المقبرة على شكل مصطبة، وهي بناء مستطيل من الحجر أو اللبن، تعلو الأرض أو تتصل بالقمر..

٣- أخذت الحجرات تكبر وتتسع حتى بنى الملك زوسر لنفسه مقبرة بمديرية جرجا بناحية بيت خلاف على شكل مصطبة كبيرة الحجم بداخلها ١٢ حجرة.



مصطبة زوسر في بيت خلاف

ولما بلغت فكرة الخلود الذروة عند بعض الملوك، لم يكتفوا ببناء قبورهم على شكل مصطبة بل شيد كل منهم لنفسه هرما.

هرم زوسر: ولما نقل زوسر عاصمة ملكه إلى منف، بنى له وزيره إمحتب مقبرة من الحجر على نسق المصطفبة الأولى في بيت خلاف، ولكن مع زيادة حجمها، ثم بنى فوقها خمس مصاطب بعضها فوق بعض، كل منها أصغر عما تحتها حجما، فكونت من تلك المصاطب الستة هرم سقارة المدرج الذي يبلغ ارتفاعه ٦٠ مترًا تقريبا، وكانت تكسوه طبقة من الحجر الجيري، وأنشئت بداخله أبهاء وممرات مغطاة بالقيشاني الأزرق والأخضر، وكانت هذه الممرات تؤدي إلى مخبأ كان يوضع فيه جثة الملك.

ويدل هرم زوسر على تقدم فن العمارة تقدماً محسوساً في ذلك العصر، إذ أنه يعتبر أول بناء حجري عرفه التاريخ، وبنيت المصاطب

بطريقة منظمة، وما لبثت أن ازدادات أهميتها فتعددت غرفاتها وحليت جدرانها بالنقوش الجميلة.



الهرم المدرج في سقارة

إمحوتب: هو الوزير الحكيم الكاهن المهندس، ظهر أيام زوسر كان وزيره الأول، امتاز بذكائه وشخصيته البارزة، وبرع في الأعمال التي وكلت إليه وخاصة الطب والهندسة والسياسة والحكمة والدين، أنقذ بحكمته مجاعة عمت مصر وأهلكت الزرع وحصدت الأرواح، وقد أعجب المصريون بهذا الوزير حتى أطلقوا عليه: رئيس الحكماء وابن إله الفنون والصنائع وارتفع في نظرهم إلى مرتبة إله.

ويعتبر إمحتب صاحب الفضل الأول في بناء هرم زوسر المدرج كما كان طبيب الملك الخاص، وقد عبده الناس بعد موته، فاعتبر إلها للطب، وكانت مقبرته مزارا للحجاج والمرضى.

هرما سنفروا في ميدروم وودهشور: وبنى سنفروا أول ملوك الأسرة الرابعة الهرم المدرج في ميدوم (في مدخل الفيوم) من سبع مصاطب، ويعرف باسم الهرم الكذاب، بسبب شكله غير التام، وعدم تسوية بنائه كما يجب أن تكون عليه.

وبنى سنفر الهرم الكامل في دهشور بي ميدوم وسقارة، وأصبح نموذجاً احتذى في بناء أهرامات الجيزة.

أهرام الجيزة: بنى خوفو الجيزة الأكبر، وبنى خفرع هرم الجيزة الثاني، وبنى منقرع لنفسه هرما أصغر من الهرمين السابقين.

(أولاً) هرم خوفو: بنى خوفو هرم الجيزة الأكبر وهو هرم عادي مغطى بطبقة من الحجر الأبيض المصقول، ولذا ظهر كامل البناء أملس الجوانب:



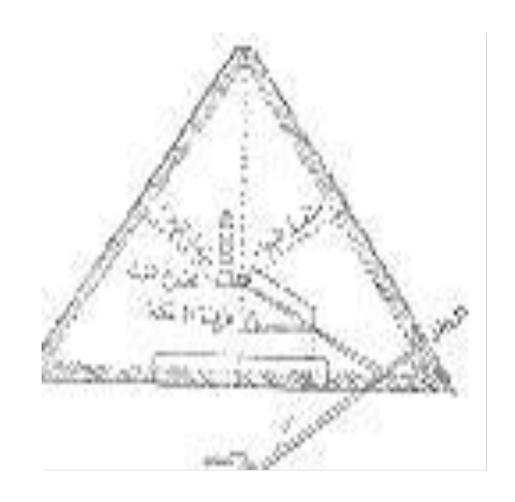
أهرم الجيزة – أكبرها هرم خوفو

١- استخدم في بنائه ١٠٠.٠٠٠ عامل زمن الفيضان، عاملهم الملك أحسن معاملة، وقدم لهم المأكل والملبس، وكانوا يستبدلون بمثل عددهم كل ثلاثة أشهر: بعضهم لقطع كتل ضخمة من الحجر الجيري من محاجر طرة، ونشرها بالمناشير حسب الحجم المطلوب، وبعضهم لنحت الأحجار نحتا دقيقا بالأزاميل والمثاقب.

٢- استغرق البناء ٢٠ سنة، واستغرق قبل ذلك ١٠ سنوات لنقل الأحجار بعد نحتها بين النيل والهرم، بوضعها على زحافات تنزلق على ألواح من الخشب تجرها الثيران في سفن خاصة حتى تصل إلى مكان البناء، وبلغ زنة كل حجر ١.٥ طن، وبلغ وزن حجارة الهرم ٦ مليون طن.

٣- يبلغ ارتفاعه ١٣٧ مترا، بعد أن كان الارتفاع ١٤٦ متراً.

٤- به من الداخل زلاقتان: الأولى نازلة تؤدي إلى حجرة في وسط البناء لدفن الملك، ولكنه لم يدفن بها بل دفن في غرفة في وسط البناء تؤدي إليها زلاقة صاعدة في منتصفها سردات يؤدي إلى حجرة الملكة.



الهرم الأكبر من الداخل

(ثانياً) هرم خفرع: وهو أصغر حجما وأقل متانة في البناء من هرم خوفو، ولكنه ظهر أكثر ارتفاعا لبنائه على جزء عال من الأرض، ويؤدي إلى دهليز طويل منحدر ويوصل إلى غرفة بها جسم الملك، ولا تزال على قمته الملساء التي كانت تغطي جميع سطحه.

(ثالثاً) هرم منقرع: أصغر أهرام الجيزة حجما، يرتفع عن الأرض ٤ أمتار، يؤدي إلى دهليز منحدر إلى غرفة ومنها أفقيا إلى غرفة جسم الملك، ولكن منقرع مات قبل أن يتمه فأتمته الملكة نيتوكريس.

أهرامات الأسرتين الخامسة والسادسة: عمل ملوك هاتين الأسرتين على بناء الأهرامات الصغيرة، تحوي عدة نصوص دينية، بينما كان ملوك الأسرتين الثالثة والرابعة يهتمون ببناء أهرامات تناطح الزمن وخالية من تلك النصوص، ومعظم تلك الأهرامات في سقارة وأبي صير في شمالها، وكان

الغرض من وضع تلك العبارات على جدران المقابر، هو وجود تعاويذ تلقن للميت لمساعدته على الفور بالنعيم في الآخرة والتغلب على المخاطر الموضوعة في طريقه.



الفكرة الدينية في بناء الهرم:

الأهرام أبنية شاهقة بناها المصريون عن طيب خاطر لا عن طريق السخرة، لأنه من الثابت أن الناس كانوا يريدون أن يقدموا للملك أجل خدمة، وهي بناء مقبرته داخل هرمه، بحيث تشرف منها روحه بعد موته على الدولة، وتكون هذه المقبرة بيتا أبديا ومكانا مقدساً، فقد كان الملك بعد ظل الله في الأرض لاعتقاده أنه في سلاسل إلهية، ولذا وجب أن يعيش بعد موته في منزل أبدي، يستحيل فيه إلى إله بين الآلهة، ويشرف منه من علياء سمائه على شعبه.

وكان المصريين أفكار دينية في بناء الهرم، فقد قدس المصريون القدماء الشمس، وأقاموا لها معبدا في هليوبوليس، وربطوا بين طائر أبيض كان يحط على شجرة بفناء المعبد، كان يحط عليها الطائر، رمزا للشمس وأقيم ضريح الملك على شكل هرمي مدبب القمة، طليت جوانبه باللون الأبيض، وعلى تلك الجوانب أشرقت الشمس وانعكس منها النور حتى عدت الأضرحة منبع النور.

ما يدل عليه بناء الأهرام:

١- قوة الملوك الذين بنوها، كما يتضح من هرم خوفو.

٢- حسن نظام الحكومة ووفرة ثروتها، فتمكنت من جمع العدد اللازم من العمال للبناء وقطع الأحجار، وإطعامهم.

٣- عظمة الملوك، حتى استطاعوا حفظ أجسامهم في مقابر تنافس الدهر البقاء.

٤- العلم بقواعد البناء والهندسة، وبذلك تمكنوا من حساب الزوايا وتنسيق الأجزاء.

٢ـ نظام الحكومة

(أ) الحكومة المركزية

الحكومة في العاصمة: كانت مصر في العهد القديم مقسمة إلى عدة أقاليم في الدلتا والصعيد، يتولى شئون كل منها حاكم يسعى جهده للنهوض بها، وكان لحاكم المقاطعة كل اختصاصات الملك وسلطاته، ولما تمت الوحدة بين مملكة الصعيد ومملكة الدلتا، أشرف على هذه الأقاليم، الحكومة المركزية في العاصمة برئاسة الملك، الذي كان له وحده حق تعيين الحاكم الإداري لكل إقليم.

وفي عمل الحكومة المركزية هو إيجاد التوازن بين الأقاليم وإحلال الوئام بينها ومنع حدوث شقاق أوتنافر بين حكامها، وساعد الحكومة المركزية على القيام بهذه المهمة، أن خزينة الملك كانت هي الخزينة الرئيسية في الديار المصرية يرسل إليها الدخل من الخزائن المحلية، وكانت منف هي عاصمة مصر في الدولة القديمة.

سلطة الملوك: وصلت الملكية في مصر القديمة إلى درجة عظيمة من السلطان والنفوذ، فقد كان لملوك مصر في الفترة الأولى من الدولة القديمة، نفوذ أدبي هائل من جراء توحيد المملكتين وإقامة ملكية واحدة تحكم جميع القطر، وصار الملك الحاكم المطلق، نتركز في يده جميع السلطات في مصر، وعرفت حكومة الملك باسم البيت العالي أو الديوان العالي، وبلغ بلاط الملك درجة كبيرة من الأبهة والجلال، حتى كان لكل حاجة من حاجات

الملك خادم من الأشراف، وليس أدل على قوة الملك وسلطانه غير المحدود مما كان عليه خوفو في الأسرة الرابعة، فإنه لو صح ما رواه هيرودوت، مما نقله عن ألسنة أهل مصر في القرن الخامس قبل الميلاد، من أن بناء الهرم الأكبر تطلب مجهود مائة ألف عامل اشتغلوا لمدة عشرين سنة، لوصلنا إلى النتائج الآتية:

١- أن نفوذ الملك كان فوق كل نفوذ.

٢- ولاء حكام الأقاليم لفرعون، مما جعلهم يقدمون له هذا العدد الهائل من العمال دون معارضة.

٣- ثروة الملك الطائلة، مما أتاح له استخدام الآلاف من الأيدي العاملة التي ظلت تعمل بجد، وتوارث الأبناء العمل فيها عن آبائهم، حتى جاء الهرم الأكبر بالجيزة آية كبرى من آيات إعجازهم في فن المعمار.

وتجلت سلطات فرعون المطلقة في أنه كان:

١- يراقب مصالح الدولة ومرافقها.

٢- يتفقد سير العمل في المناجم والمحاجر.

٣- يشرف على الإدارة المالية والقضائية في الأقاليم.

٤- يتفقد المنشآت، التي مازال الوافدون إلى مصر من شتى أنحاء العالم يحنون رؤوسهم إجلالا لعظمتها وفنها، وتجلت في بناء المقابر الضخمة، وإقامة المعابد الدينية والتماثيل الرائعة.

صفات الملوك الإلهية: كان ملوك مصر القدماء، يعتبرون خلفاء للآلهة العظام الذين نزلوا على الأرض وحكموا مصر في العصور الغابرة، وبذلك صار للملكية صبغة دينية، حتى تردد أفراد الرعية في الإشارة إلى الملك باسمه وأشاروا إليه بالضمير الغائب أو بلفظه الواحد، وصار من آداب التشريفة أن يقبل الناس الأرض أمامه وأن يسمح لذوي الخطوة بالمثول بين يديه، واعتبر الملك أنه ورث العرش عن حوريس بن أوزوريس، ولذا كان يقرن اسمه دائما بالإله حوريس على هيئة الصقر.

وعرف الملك باسم فرعون، وأطلق على قصره البيت الكبير، ورغم اتحاد مصر في مملكة واحدة فقد كان المصريون يسمون فرعون: صاحب الأرضين وحاكم القطرين وذا التاجين والإله الطيب.

ولاية العهد: كان ملوك مصر لتمرينهم منذ صغرهم على شئون الحكم بجانب آبائهم الملوك ذوي دراية كبيرة بأمور الدولة، ذلك أن ملك مصر كان يتخذ ابنه وليا للعهد، فإن حان الوقت الذي تسمح له فيه تجاربه وسنه بالاشتراك في شئون الدولة العامة مع أبيه اتخذه أبوه معينا له، وكان ولي العهد يقوم بكثير من الرحلات يذهب فيها بنفسه إلى المناجم والمحاجر كما كان يختلط بأولاده الأشراف ويتخذ لنفسه منهم أصدقاء يصيرون أعوانا له بعد ولايته على العرش.

(ب) الحكومة المحلية

حكام الأقاليم وواجباتهم:

تمثلت الإدارة المحلية في حكومات الأقاليم، برئاسة حكامها، فقد كان في كل إقليم من أقاليم مصر حاكم، له سلطة مطلقة في إقليمه: فيتولى قيادة الجيش والإشراف على المصالح الإدارية الكائنة في حدود إقليمية وعلى جمع وصرف الأموال التي تجبى والعمل على مسح الأراضي وإقامة الجسور وحفر الترع وخزن الغلال والسهر على الأمن.

جمع الضرائب: وكان حاكم الإقليم هو الذي يشرف على جمع الضرائب، وبعد أن يتم جمعها تحفظ في مخازنه، حيث تعتبر ملكا للملك، لأن أراضي القطر المصري الزراعية كانت تعتبر جميعها ملكا لفرعون مصر، واعتبر الزراع بمثابة مستأجرين للأرض يزرعونها ويؤدون ما عليهم من الضرائب لحاكم الإقليم، وهي ضرائب عينية من المحاصيل إذ لم تكن النقوذ قد عرفت إذ ذاك، وكانت الضرائب تتغير كل عام وفقاً لكثرة المحصول أو ندرته ولارتفاع فيضان النيل أو انخفاضه، وكان الملك يهب المخلصين والأكفاء من رجال الحرب والإدارة منحا من الأرض لهم ولذراريهم من بعدهم.

النظر في القضايا: كان القضاء في الأقاليم يتم تحت رياسة حكام الأقاليم، وكان يسبق المحاكمة عدة إجراءات كرفع شكوى من المدعى لشرح دعواه، ويتولى الحجاب إدخال أصحاب القضايا، ويدون الكتبة

أقوال المتقاضين، وتتم المحاكمة في بساطة، فيسأل المتخاصمين والشهود، ثم يصدر الحكم باسم الملك، ويسجل كتابة بعد بحث الحجج والمستندات، وإذا كان المدعى ممن يتصلون بالبيت الملكي، فتتخذ إجراءات استثنائية في المحاكمة ويعهد إلى أحد المخلصين للملك بنظر الموضوع.

وكان للموظفين في الأقاليم حق الحكم في القضايا التي تعرض أمام محاكم الأقاليم، وكان هؤلاء خاضعين لموظف كبير مركزه العاصمة ويشبه قاضي القضاة أو وزير العدل اليوم، ومهمته التأكد من أن جميع الموظفين القضائيين في الأقاليم لهم دراية القانون وأنهم يحكمون فيما يعرض عليهم من القضايا بالعدل.

وتنوعت العقوبات الجنائية: ما بين الموت جزاء القتل، وقطع اللسان جزاء الخيانة، وقطع الأيدي جزاء تزوير العقود والأختام.

ومن القضاة في الدولة القديمة، من اقترن اسمه بالفصل في عدد من القضايا على جانب كبير من الخطورة والأهمية، من أشهرهم القاضي أوني وهو من أبرز شخصيات الأسرة السادسة، ويروي أوني قصة حياته في عهد الملك بيبي الأول في الوثيقة المعروفة باسم وثيقة أوني وهي تعد أطول نقش يصف حياة الأشخاص: بدأ أوني حياته في عمل متواضع إذا التحق في الوظائف الحكومية كحارس في ضياع فرعون، ثم رقى إلى وظيفة قاض في محكمة نخن، وتمكن نفسه وظيفه كاهن من الكهنة في معبد مدينة الأهرام، وعهد إليه الفصل في كثير من القضايا باسم الملك، وعندما اتهمت زوجة

الملك بالمؤامرة ضد الملك، سمح للقاضي أوني بدخول مسكن الملكة، ولم يسمح بذلك من قبل حتى لأحد النبلاء، وتولى أوني أمر المحاكمة، واشترك معه في نظرها قاض ثان، ولم يحكما على الزوجة بالبراءة أو الإدانة واكتفيا بالإشارة إلى أنها قدمت للمحاكمة.

وصار في مصر الفرعونية نظام قضائي، مدني وجنائي، ممتاز، وقضاة يحترمون القانون، ويعملون على إنصاف المظلومين، بدليل ما نقرأه كثيرا على قبورهم.

(ج) **اتساع العاصمة**

الموظفون: لم يكن من السهل على فرعون أن يشرف على هذا العدد الكبير من أقاليم مصر، وكان لابد أن يكون له معاونون من بين حكام الأقاليم وكبار الموظفين.

وكان يشترط في موظفي الحكومة صفات معينة، فقد كان موظف الدولة المصرية لا يصل إلى وظيفته إلا إذا نال قدرًا من التعلم، وعرف بالاستقامة والنزاهة، وكان يتدرج في الوظائف من أصغرها إلى أعلاها، ومن بينهم:

١- العمال: وظهر من بينهم صناع مدينة منف، حتى صار لهم أملاك وأوقاف وتقلدوا عدة وظائف مدنية.

٢- الكتبة: وكان الكاتب يتدرج في عدة وظائف إدارية، ويصل أحياناً إلى أكبر وظائف الدولة، ومنهم من عين حاكما لأحد الأقاليم أو أمينًا للملك، وعدت وظيفة الكاتب من الوظائف الهامة في الدولة ولا يختار لها سوى الأكفاء.

٣- المديرون ووكلاءهم والرؤساء ومساعدوهم والمحاسبون.

رئيس الخزينة الملكية: ومقره العاصمة، ومهمته الإشراف التام على خزائن الأقاليم المختلفة وعلى إدارات المناجم والمحاجر في أقاليم القطر المصري، ويسكن في قصر الملك، ويتلقى أوامره منه، ويشبه وزير المالية اليوم.

٥- قاضي القضاة: ويشبه وزير العدل اليوم ومركزه العاصمة.

٦- الوزير: ويعد الوزير على رأس هؤلاء الحكام والموظفين، ونظرًا لأهمية هذا المنصب، كان يشغله في الأسرة الرابعة ولي العهد للإشراف على جميع شئون الدولة وإدارتها ويتخذ مقره في سراي الملك، ومن أشهر وزراء مصر في الدولة القديمة: الوزير إمحتب من الأسرة الثالثة والوزير بتاح حتب من الأسرة الخامسة.

واتسعت اختصاصات الوزير حتى شملت:

(أ) معاونة فرعون في تنظيم شئون البلاد، فيتولى بحث أحوال الدولة وعرضها على الملك وتلقى توجيهاته وحفظ الأمن.

(ب) الإشراف على واردات البلاد وصادراتها وما تخرجه من ثروات زراعية ومعدنية.

(ج) السيطرة على خزائن الدولة والإشراف على السجلات الملكية وشئون الموظفين والعمائر.

(د) تلقي تقارير حكام الأقاليم والموظفين على أحوال النيل والمحاصيل لإصدار التعليمات بشأنها.

(هـ) تفقد شئون القضاء، حتى كان يعد رئيسا للقضاء وكبيراً للقضاة.

الإدارات الحكومية: تمثلت الإدارة المركزية في عاصمة مصر في الإدارات الرئيسية التالية:

١- إدارة مخازن الغلال والإشراف على الضرائب العينية المجباة من المزارعين.

٢- إدارة الإشراف على الأراضي الزراعية.

٣- إدارة الأشغال وهي مختصة بالمشروعات كشق الترع وبناء المعابد والحصول وأعمال المناجم والمحاجر.

٤- الخزينة العامة وهي مختصة بجباية الضرائب من الأقاليم المختلفة.

٥- المحكمة العليا وتتولى النظر في الاستئناف المقدمة ويرأسها الوزير.

العلاقات بين الأمراء والملك: خضع حكام الأقاليم (أو الأمراء) لفرعون حتى نهاية الأسرة الخامسة، ولكن بمجرد ضعف الفراعنة منذ الأسرة السادسة، بدأ حكام الأقاليم في التخلص نهائيا من سيادة الملك، وتجلى ذلك في أنهم:

١- استأثروا بالسلطة وجمعوا الثروة لأنفسهم، حتى كانوا يقدرون الضرائب كيفما شاءوا.

٢- اكتسبوا حق توريث المقاطعة لأبنائهم.

٣- صار لكثير منهم حاشية تضارع حاشية الملك في الأبهة والعظمة.

٤- أصبح كل منهم القائد العام لجيشه والرئيس الأعلى لكهنة إقليمه وللمحاكم القضائية، وقلدوا الملك بذلك في كثير من ضروب الملكية.

٥- لم تعد الحوادث تؤرخ من تاريخ اعتلاء الملك عرض ملكه بل من تاريخ ولاية الحكام.

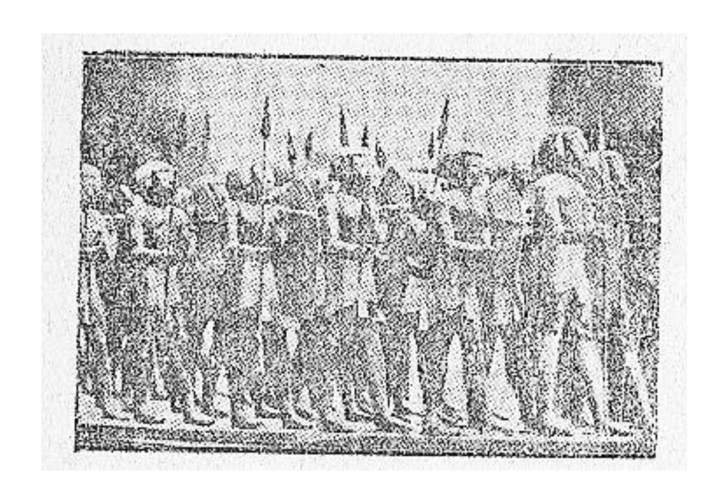
٦- صار الناس يحلفون باسم حاكم الإقليم بدلاً من اسم الملك ويصفون حاكم إقليمهم بأنه «الخالد المخلد إلى الأبد».

الجيش والأسطول:

١- لم تعمل الحكومة المصرية في الدولة القديمة على إنشاء جيش وطني، بل اعتمدت على بعض الفرق من حرس الملك لصد الغارات التي شنها على مصر بدو الصحراء الشرقية وصحراء ليبيا ورجال النوبة، وكان للقائد أوني من الأسرة السادسة الفضل في هزيمتهم وإذلال زعمائهم.

٢- كذلك اعتمدت الحكومة في القوة الحربية على ما لدى حكام الأقاليم من الجنود.

٣- وفي عهد الضعف الذي انتاب الدولة القديمة في نهاية الأسرة السادسة، اعتمدت الدولة على الجنود المرتزقة من بلاد النوبة وليبيا نظير أجر معين.



جنود في مصر القديمة

٤- وفي الدولة القديمة في مصر، يرجع عهد سطوة الأسطول المصري إلى عهد الملك سنفرو من الأسرة الثالثة، فقد أنشأ أسطولا ضخماً مكونا من عدد كبير من السفن التي كانت تستخدم في نقل البضائع ما بين القطر المصري والأقاليم الواقعة على ساحل البحر الأبيض وفي نقل الموظفين المكلفين بالتجوال في مصر العليا ومصر السفلى لإجراء عملية إحصاء الماشية، إذ كان من التقاليد الحكومية المتبعة أن يقوم الموظفون بهذا الإحصاء مرة كل سنتين.

٣ـ الحياة الاجتماعية

(أ) طبقات المجتمع

١- فرعون:

كان فرعون مصر في ظل الله في الأرض، يحكم بمقتضى الحق الإلهي المقدس، وهو بذلك المتصرف في شئون دولته وصاحب الكلمة العليا في البلاد، وكان مع ذلك يتصل بشعبه ويظهر أمامه في الحفلات العامة، وينظر في شئون موظفيه ويحقق شكاواهم ويجلس مع العظماء ويتحدث إليهم، وسمح لملوك الشرق وأمرائه بمصاهرته، وامتنع عن تزويج بناته لغير المصري.

٢- الأمراء:

كانت طبقتهم تشمل أفراد الأسرة المالكة وأمراء الأقاليم، وكانوا يمتلكون فيما بينهم جزءًا عظيمًا من الأراضي الزراعية، ويعيشون في سعة وترف، وكان لبعضهم حاشية تضارع حاشية الملك، وكثيرًا ما عهد إليهم الملك بالإشراف على أعمال الدولة في المحاجر والبناء والجيش.

٣- رجال الدين:

كان للدين الأثر الأكبر في توجيه حياة قدماء المصريين، ولذا قام على أموره رجال يرعون تقاليده ويبشرون بقواعده، وكان لرجال الدين بذلك مركز ممتاز وصاروا موضع تقدير الشعب، وظهر الكهنة، وكانت وظائفهم متوارثة في أسر معينة، وعلى جانب كبير من الثراء، واختيروا من

كبار رجال الدين أو من الموظفين البارزين في العلم والأدب، وتعددت أعمالهم:



كاهن

(أ) قاموا بتقديم القرابين (الهدايا) للآلهة. وكانت مائدة القرابين عبارة عن قطع صخرية مربعة الأشكال، تجلب من الفنتين وهي جزيرة عند أسوان.

(ب) اشتغلوا بقراءة الأدعية وإقامة الصلوات وحرق البخور في المعبد. فقد كان لكل معبد أراض موقوفة عليه للصرف منها على مرتبات الكهنة وبناء المعابد وتزويدها بما تحتاج إليه من قرابين وأبخرة وعطور.

(ج) كان رئيس الكهنة يعتبر نائباً عن الملك في المعبد في القيام بالشعائر الدينية.

(د) شغل الكهنة وظائف مدينة أحيانا، فكثيراً ما تولى الكاهن وظيفة قاضي، ووصل أحياناً لمنصب وزير، ووصل بعضهم إلى العرش فقد أسس أوسركاف كبير كهنة رع الأسرة الخامسة.

(هـ) استخدموا السحر واحتفظوا بسر التحنيط مما أتاح لهم السيطرة على الشعب.

(٤) أرباب الحرف والصنائع: ظهر في الدولة القديمة أرباب الحرف من صناع الزجاج والخزف وصانعي الحلي ودابغي الجلود، وكان هؤلاء مهرة في فنهم، وتوارثوا المهن، وأقاموا في المدن، ولهم الحرية في مزاولة مهنتهم في المدينة التي يروق لهم الإقامة فيها.

وانقسمت طبقة أرباب الحرف والصنائع إلى ثلاثة أقسام:

(أ) الطبقة الوسطى العليا، وتشمل: الملوك والتجار وموظفي الحكومة الكبار والضباط.

(ب) الطبقة الوسطى السفلى، وتشمل: أرباب الحرف وصغار الموظفين.

(ج) الطبقة السفلى: وكانت تتكون من فئة الفلاحين، وكانوا غالبية الشعب المصري، ويقيمون في القرى، ويشتغلون في الزراعة، فإذا ما تعذرت الزراعة في موسم الفيضان عمل الفلاحون في المحاجر والمناجم والبناء.

٥- الرقيق: وهم أسرى الحرب، الذين أسرهم الفراعنة خلال انتصاراتهم في الحروب التي خاضوها، هؤلاء تركت لهم الحكومة حرية العبادة، وأحسنت معاملتهم وعطفت عليهم وعملوا خداما ورعاة للمعابد.

ولم يكن هناك حد فاصل بين هذه الطبقات يحرم تدرج الأفراد من طبقة إلى أخرى، كما يستدل من قول أحد كبار موظفي الحكومة في مصر القديمة:

«جئت من أسرة فقيرة وبلدة وضيعة، ولكن الملك عرف كفاءتي، فرقاني حتى فوق كثير من أفراد العائلة الملكية وعرفني بكثير من أمراء البيت الملكي».

(ب) الحياة في المنازل وقصور الأمراء والملك:

١- كان الفلاحون والعمال، يسكن كل منهم في بيت مصنوع من سعف النخل والبوص، من طابق واحد به غرفتان ومخزن للغلال، وليس به من الأثاث سوى حصير وعدد من المقاعد الخشبية وآنية الفخار ووجد في بيت بعض الفلاحين أسرة خشبية ووسائد من القماش والقطن أو من الجلد والقش.

٢- يسكن أرباب الحرف في المدن، كل منهم في بيت من طابقين وبه عدد من الحجرات ونوافذ ضيقة.

٣- ويسكن الغني، في منزل يحوي عدد حجرات متسعة، وبه حديقة وجدران البيت محلاة بالنقوش الجميلة، وتحوي: الأسرة، والوسائد، والمقاعد، والموائد، وصناديق خشبية لحفظ الملابس، والبسط والحصر الملونة، والمصابيح.

٤- كان قصر الملك وقصور الأمراء صورة لما بلغته البلاد من غنى وتقدم في فن المعمار والهندسة، فقد حوى قصر الملك فاخر الرياش والفراش والأثاث، وكان مكونًا من أجنحة ونطاقات لنساء القصر والمدرسة والمكتبة، كما كان الموظفون يشغلون جزءاً منه، ويقضي الملك يومه في القصر في نظام دقيق: فيبدأ بالتزين بالعطور وارتداء ملابسه، ثم استقبال كبار الزائرين، فالإشراف على مهام الدولة التي يعرضها على أسماعه كبار

الموظفين، ثم يقضي بقية يومه في التنزه على سطح بحيرة وفي تصدر الموائد الرسمية، وفيه كان يستقبل أفراد رعيته في أيام الأعياد.

الحياة العائلية وتربية الأطفال :

عاشت الأسرة المصرية في جملتها عيشة تميزت بقوة الارتباط بين أفراد الأسرة، واتصفت الحياة العائلية بالبساطة في طابعها ومظهرها، وكانت منظمة ذات مستوى رفيع من الوجهة الأخلاقية ومن حيث سلطان الأبوين.

المرأة: كانت المرأة المصرية في الدولة القديمة محترمة، ولها حقوق ومركز اجتماعي، يؤهلها لأن تكون مساوية للرجل، رغم أن الرجل كان قواما على المرأة، يستدل على ذلك من:

١- أن المرأة المصرية كانت تشتغل مع زوجها في كثير من شئونه وكانت للسيدات وظائف عامة كالصناعة والتجارة.

٢- أن المصري قنع غالبا بزوجة واحدة، وقام زواجه بها على عقد ثابت.

٣- أن المصري كان لا يستطيع طلاق زوجته إلا في حالات الخيانة الزوجية، وفي غير هذه الحالات كان يدفع لمطلقته نفقه شهرية.

وقامت العلاقة بين المصري وزوجته على أساس المحبة المتبادلة، ويثبت ذلك الظواهر التالية:

١- تبجيل إيزيس زوجة أوزوريس وعظم شأنها في العصر القديم، هو أعظم دليل على مراكز المرأة في ذلك العصر.

٢- توصية بتاح حتب حاكم منف في الأسرة الخامسة بخصوص الزوجة تدل على عظم مكانة المرأة المصرية في نفوس المصريين، فهو يقول: «كن سيدا في منزلك وأحب امرأتك حباً خاصاً، أعطها كفايتها من الطعام، واشتر لها العطر، واجعلها سعيدة ما دمت حيا، فإن المرأة مرآة زوجها ينعكس عليها ما يبذله في سبيل سعادتها، لا تكن خشنًا في بيتك، فاللين يحرك قلب المرأة والغلظة تستفزها، اعط امرأتك كل ما تشتهيه ما أمكنك، وأرضها تعش سعيداً وإلا كان مصيرك الخراب، قربها إليك وسمها أسماء معززة وأظهر لها حبك».

تربية الأطفال: كان أعظم ما عنيت به المرأة المصرية في الدولة القديمة، هو تربية الأطفال، فقد كان الأطفال ذكورًا وإناثًا ينشأون بين يدي أمهاتهم حتى سن الثالثة، ثم يتولى الأب تربيتهم، وبعد ذلك كان الأطفال يؤخذون إلى المدارس الشعبية لإعدادهم للوظيفة، أما الأغنياء منهم فكانوا يلحقون بمدرسة القصر الملكي لتلقي العلم مع الأمراء وولي العهد.

وكان يتحتم على الأبناء احترام الوالدين وأن يظهروا لهم اعترافهم بجميلهم حتى أننا كثيرا ما نصادف على قبورهم عبارات تدل على مبلغ

احترام الأبناء لهم، منها العبارة التالية: «كنت بارا بوالدي، يحبني أبي وتحبني أمي ويحبني إخوتي وأخواتي»، ومن نصائح حكمائهم: «إياك وغضب الأم، فإنها إن تضرعت إلى الله وشكت إليه منك، فالله يسمع لها ويعاقبك».

الأعمال المنزلية:

١- كان الطهي من الأعمال المنزلية التي يجيدها نساء مصر القديمة لرغبة المصريين في تناول الشهي من الطعام، وأجادوا طهي الخضر وصنع الفطائر، وكان أغنياؤهم يجلسون إلى موائد منسقة تنسيقا جميلا يدل على ذوق سليم، وكان المصريون لا يستعملون إذ ذاك غير أيديهم في تناول الطعام، ويتسخدمون أباريق يصب منها الماء لغسل أيديهم.

٢- وصنع المصريون الخبز، فإن الغلال كانت تطحن على الرحى، ويعجن الطحن، وتفنن المصريون في أنواع الخبز على نحو يقرب كثيرًا مما نراه في عصرنا الحالي.

٣- وصنع المصريون الجعة من خمير الشعير وكانت توضع في قدور، كما صنعوا النبيذ من الكروم، واشتهروا في عمليات جني الكروم وعصرها.

الملابس:

١- تطورت ملابس المصريين مع تطور حياتهم وحضارتهم، فقد ستروا أجسادهم في باديء الأمر بجلود الحيوانات وألياف النباتات، ثم بعد

ذلك اتخذوها من نسيج الكتان، وفضلوا اللون الأبيض، ومن المرجح أنهم عرفوا نسيج الكتان، منذ العصر الحجري الحديث.

٢- وكان الرجال يلفون حول وسطهم قطعاً من نسيج الكتان تتدلى على ركبتهم وقد تفننوا في أشكالها.

٣- وصار لفرعون ولعلية القوم من العظماء والوزراء وكبار رجال الدولة، ملابس خاصة موشاة بالذهب والحلي، وكانوا يلبسونها في الأعياد الدينية والمناسبات الخاصة، كما اتخذوا من الجلود والبردي نعالا خفيفة، ووشيت نعال الملك بالذهب.

٤- وكانت أزياء النساء جميلة منسقة، على الرغم من بساطتها، وتميزت بضيقها في بعض المواضع وبامتدادها من الكفين إلى العقبين.

الزينة:

على الرغم من هذه الحياة البسيطة التي كان يحياها المصريون القدماء، فقد كانوا مغرمين بالتزين رجالا ونساء:

١- استخدموا الأساور والأقراط من شتى المعادن.

٢- عنيت المرأة بوجه خاص بشعرها، وتفننت في تصفيفه وتلميعه بالزيوت والدهون، وكن معجبات بشعورهن الطويلة، إلا أنهن كن في بعض

الأحوال يقصصن هذا الشعر، كما كانت المرأة تعني بطلاء شفاها وأظافرها وتكحيل عيونها، واستعملت النساء المرآة وصنعت من النحاس والفضة.

٣- وكان الرجل يعني بتنظيم شعره وقصه وحلق ذقنه، وكان في بعض المناسبات يلبس شعورًا مستعارة لتكسبه وقارا وهيبة.

(د) ألعاب التسلية والموسيقى

الألعاب الرياضية:

١- صارت المصارعة رياضة مفضلة لري المصريين، فأقبلوا عليها وتعددت مبارياتهم فيها، ونازلوا الأجانب.

٢- مارس المصريون المبارزة، بعصى قصيرة، متخذين دروعا من الجلد لتقيم ضربات الخصوم.

٣- أدى النساء حركات شبيهة بالتمرينات السويدية والبهلوانية: تعد قريبة من الرقص التوقيعي إذا ذاك، وكن يلعبن بالكرة ويتقاذفها ببراعة عدة مرات دون أن تسقط منهن على الأرض.

٤- كان الصيد من ضروب الرياضة المحببة إلى كبار المصريين وعظمائهم، يمارسونها في الصحراء لصيد السباع والغزلان.

وسائل التسلية:

١- لعبة الشطرنج: تمارس على لوح خشبي بقطع مختلفة الأشكال.

٢- السيحة: وهي لعبة تمارس على لوح مقسم إلى مربعات عددها ٢٤× ٣٠ يتحرك عليها اللعب بواسطة دميات أو كرات.

٣- الحكشة: هي ضرب الكرة بالمضرب وتشبه لعبة الهوكي الآن.

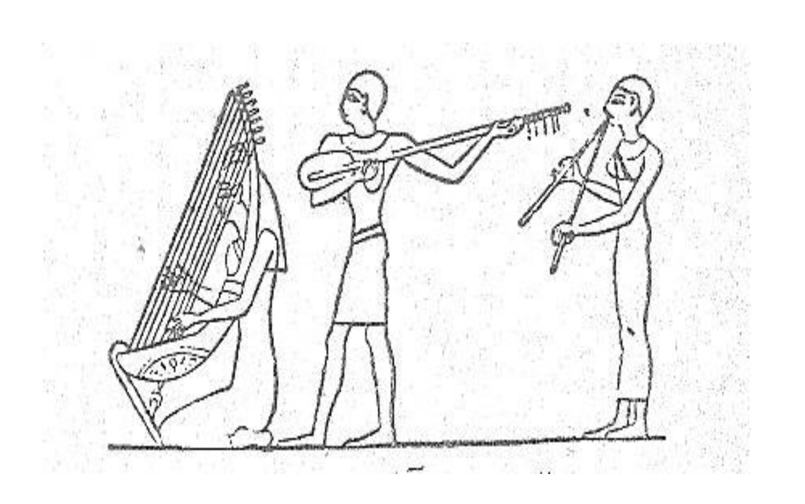
الموسيقى:

١- كانت الموسيقى أداة لتنشيط المصريين في أداء أعمالهم على نغماتها، واستعمل الموسيقيون بالمزمار المفرد أو المزدوج وآلة تسمى الجنك.

٢- كان الموسيقيون يصاحبون الراقصات بأنغامهم.

٣- كان استعمال الآلات الموسيقية قاصرا على الرجال، كما كان ضبط النغم يتم بالتصفيق باليدين.

٤- كان للملك فرقة موسيقية خاصة لإقامة الحفلات الموسيقية.



العزف على آلات الطرب

الرقص:

١– كان الراقصات يقمن بحركات بالأذرع والأرجل والجسم.

٢– وكانت هناك طبقة من الراقصات تقمن برقص يشبه رقص الباليه في الوقت الحاضر.

٣– وكانت الزوجات تقمن بالرقص أمام أزواجهن.

٤– كان الراقصات يقدمن متنوعات حية وهو إما رقص للسمر في الحفلات أو رقص إيقاعي تمثل فيه مظاهر الحياة والحوادث التاريخية أو رقص ديني أو جنائزي في الجنازات.

والأعياد والحفلات والولائم: تعددت الاحتفالات والأعياد عند المصريين القدماء بتعدد الآلهة والمناسبات، واعتاد المصري القديم، الاحتفال بأعياده، فكان يقضي يومه في السمر واللهو ودعوة جيرانه لمشاهدة ما أعده لهم من وسائل التسلية: كعزف الموسيقى والغناء والرقص.

وكانت أهم أعياد الفلاح المصري:

١- عيد الحصاد (جمع المحصول) وهو أهم أعياده، يقدم فيه لإلهة الخصب (مين) أول حصاده، وسط الطبول والزمور.

٢- عيد الفيضان: احتفل المصريون، حكومة وشعباً، بفيضان النيل، وأقيمت من أجله كل عام الاحتفالات العظيمة.

٣- الأعياد الدينية: مثل عيد تتويج فرعون.

٤- أعياد رأس السنة وأعياد الربيع.

٤- الحياة الاقتصادية

(أ) الزراعة

إقبال المصريين على الزراعة: كانت الزراعة أهم ما اشتغل به المصريون القدماء، وكانت جميع الأراضي ملكا للملك، وكان الفلاحون بمثابة مستأجرين للأرض.

وكان فيضان النيل كل عام، هو مصدر الخير والبركة لمصر، فهو الذي يجلب الطمي لأرضها، ويجعلها خصبة صالحة للزراعة، وبعد الفيضان: يحرس الفلاح والأرض، ويغرس البذور ويحصد الحبوب، ويذريها، ويضعها في زكائب ويحفظها في الصومعة.

طريقة الزراعة:

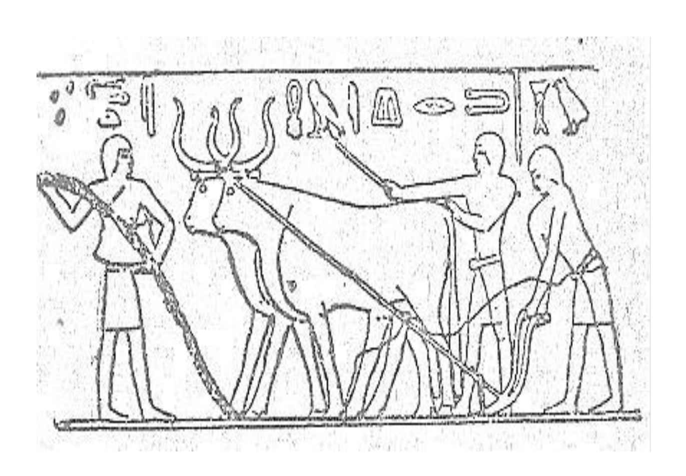
١- استعمل الفأس لحفر الأرض، ثم المحراث الخشبي تجره الثيران، وعلى كل محراث رجلان: أحدهما يغرس سلاح المحراث في الأرض، وثانيهما يقود الثيران.

٢- يغرس الفلاح البذور وتدوسها الغنم أو الخنازير، كما يغمسها في الأرض.

٣- بعد عدة أسابيع، يحصد الفلاح والحبوب بمنجل لقطع السنابل، وتنقل حزم القمح إلى مخزن القمح إلى مخزن واسع يعرف باسم الجرن.

٤- يعمل الفلاح بعد ذلك على أن يذري القمح في الهواء بمذراه من الخشب فينفصل التبن عن الحب، وكان بعض الفلاحات يقمن بعملية تذرية القمح.

٥- ينقل الفلاح القمح إلى الصومعة: وهي بناء من الطين، في أعلاه فتحة صغيرة تملأ منها الحبوب، وفي أسفله باب لسحبها، وكان لمزارع الملك أو الحكام أو الكهنة، شونات لبناء الصوامع، عليها موظفون لمراقبة خزن الحبوب بها وسحبها منها.



فلاح مصري قديم

محصولات الفلاح الزراعية: اهتم الفلاح المصري القديم بالمحصولات الآتية:

١- الحبوب: لصنع الخبز.

٢- الكتان: لنسج الملابس.

٣- البصل والعدس والخيار والشمام والتين والعنب.

واشتغل الفلاح بغير الزراعة: كنسج الصوف، وصنع القوارب، وصيد الأسماك.

حيوانات الفلاح: عنى الفلاح بحيواناته، ومن بينها الثيران والبقر، وهي أهمها عنده، وكذلك الغنم والماعز والحمير والكلاب للحراسة، وكلها مما ينفعه في الزراعة، وولع بتربية الطيور وتربية النحل، وكان صيد البر يعتبر لديهم رياضة لا وسيلة لكسب العيش، وعرف المصري القديم أن النيل الذي وهب لأرضه الحياة، زاخر بأنواع شتى من الأسماك، وأن هذه الأسماك هي مورد هام من موارد الطعام والرزق، فعمل على استغلال هذه الموارد وصل إلى الوسائل التي يستطيع بها صيده.

الفصول الزراعية: قسم المصري السنة إلى ثلاثة فصول متساوية:

١- فصل الفيضان: من منتصف يونية إلى منتصف أكتوبر.

٢- فصل الزراع: من منتصف أكتوبر إلى منتصف فبراير.

٣- فصل الحصاد: من منتصف يونية إلى منتصف يونية.

وعني ملوك مصر الفرعونية بالزراعة عناية تامة، بدليل ما وجد على لوحة كشفت حديثا تبين أن الملك أوها ملوك الأسرة الأولى وقف وبيده

معول يحفر به عدة ترع، ووجدت له آثار تدل على أنه كان في ذلك الوقت يقوم بمراسيم حفلة قومية زراعية في مصر.

ولكن الزراعة اضمحلت، وساءت حالة الري في فترة الاضمحلال التي مرت بها مصر أيام الأسرات ٧ و٨ و٩ و١٠ وذلك بسبب الفوضى وقحط النيل.

(ب) الصناعة

برع المصريون في الدولة القديمة في كثير من الصناعات.

١- الأواني النحاسية والأسلحة وأدوات الزينة: استخرج المصريون النحاس من شبه جزيرة سيناء، وبرعوا في صناعة الأواني النحاسية المنقوشة، واحسن المصريون سباكة المعادن وحدادتها، كما يتبين من استخدام النحاس في صناعة الأسلحة وأدوات الزينة، وعرف المصريون الذهب منذ القدم، وصنعوا منه الحلي التي لا تكاد تقل في جمالها وإتقانها عما يصاغ الآن في أوروبا، وأهمها حلي الصدر والعقيق والأحجار الكريمة، ويدل صنعها على الدقة وسلامة الذوق وعلى مهارة صناع مصر إذ ذاك.

٢- الأواني من الفخار والزجاج والخزف: صنع المصري القديم من الحجر أوان وصحاف وجرار، ومهر في صناعة الأواني الفخارية ذات الألوان الجميلة، كما اهتدى إلى عناصر الزجاج في رمال الصحراء، وقام بصناعة أواني من الزجاج والخزف.

٣- النسيج: تقدم قدماء المصريين في صناعة الكتان الرقيق والتيل، حتى ارتدوا ملابس مصنوعة من أقمشة تضارع وتفوق ما نلبسه في العصر الحاضر، فقد بلغ التيل من الرقة جدا جعل من الصعب تمييز خيوطه عن الحرير، ولم يكتنفوا بذلك بل صبغوا بأصباغ ظلت ثابتة آلاف السنين.

٤- البردي: استعمل المصريون البردي في صناعة الورق، وكانوا بذلك أول من صنع الورق في العالم، وصنعوا من سيقان البردي الحصير والسلال والحبال والقوارب.

٥- بناء السفن وعمل الأثاث: تتمثل لنا قدرة المصريين القدماء في فن النجارة من صنع السفن، التي كانت تعد لنقل الماشية والحبوب من مكان إلى مكان ولنزاهة الأمراء والأشراف، وبلغ من إتقان صناعة السفن في عهد سنفر وآخر ملوك الأسرة الثالثة أن بلغ طول الواحدة منها ١٧٠ قدما، وكثر عدد السفن في ذلك العصر، حتى تمكن سنفرو من إرسال أسطول مكون من ٤٠ سفينة إلى بلاد فينيقيا للحصول على أخشاب الأرز من لبنان، وكان هذا أول علمنا بالبعثات البحرية في تاريخ العالم.

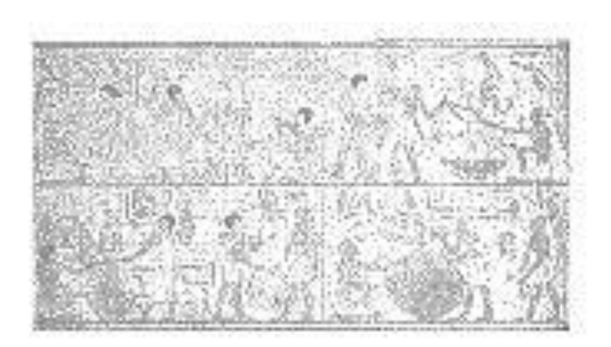
وصنع المصريون الأثاث الفاخر من الأنبوس المستورد من السودان ومن أرز لبنان.

(ج) التجارة

المواصلات: اشتغل المصريون بالتجارة منذ أقدم العصور، فكان النيل وفروعه من أهم طرق النقل الداخلية، إذ كان التجار ينقلون بضائعهم على مراكب شراعية وزوارق خفيفة، متنقلين بين أجزاء مصر المختلفة.

الأسواق المحلية:

١- كانت الأسواق المحلية تعقد في كل قرية أو مدينة، فكان الفلاحون يجتمعون من الجهات المجاورة ومعهم بضائعهم، كما كانت الصفقات التجارية تعقد بطريق المقايضة وهي تبادل السلع التجارية والمنتجات الزراعية والصناعية.



٢- استخدم المصريون في الصفقات التجارية، حلقات وقضبان مصنوعة من الذهب والنحاس ذات وزن ثابت، مما يقوم مقام النقود، وكان

المصريون بذلك أول من استعمل العملة، وكانت الفضة لندرتها في الدولة القديمة من الذهب.

سوق مصر قديم:

٣- وبسبب انتشار التجارة، حذق فريق من المصريين القيام بعمليات التسجيل والمعاملات والسمسرة، فنشأ علم الحساب والعقود.

٤- كانت الحكومة تشرف على حركة التجارة في الأسواق، بإرسال المندوبين والمفتشين، يراقبون حركة البيع والشراء.

السفن: استخدمت السفن في التجوال على شواطيء البحر الأبيض والبحر الأحمر، لتنشيط حركة التجارة بين مصر والأقطار الأخرى وخاصة بلاد الشام وكريت، وكانت السفن تنقسم إلى عدة أنواع:

١- قوارب البردي: وتتألف من شد سيقان البردي بالحبال، واستخدمت للصيد، وتسير من غير مجاديف وبذا لم تكن تحدث صوتا ينبه الحيوانات أو الطيور.

٢- السفن المصنوعة من الخشب: وهي إما سفن حربية وتجارية تسير في البحار، أو سفن نيلية لنقل الحاصلات والمواشي وأحجار البناء، أو سفن الأسفار، ويستعملها الملك والعظماء في تنقلاتهم في النيل.

التجارة الخارجية: اتصل المصريون في الدولة القديمة المجاورة بها وصدروا إليها ما تحتاجه تلك الأقاليم واستوردوا منها حاجيات مصر:

١- تاجر المصريون مع بلاد الشام (أو فينقيا)، واستوردوا منها: خشب الأرز والنحاس والآلات الموسيقية، وكانوا يذهبون إليها بطريق البحر الأبيض.

٢- تاجر المصريون مع بلاد النوبة واستوردوا منها: العاج وخشب الأبنوس والذهب وريش النعام، وكانت القوافل الذاهبة تستعمل النيل أو تسير بحذائه.

٣- وأنشأ المصريون علاقات تجارية مع بلاد بنت (الصومال)، وكانوا يستوردون منها البخور والعطور والأصماغ وأشجار المر وجميع ما يلزم المعابد المصرية، وكانوا يذهبون إليها بطريق البحر الأحمر وميناء السويس.

٤- وكان هناك تبادل تجاري بين مصر وجزيرة كريت، فكانت الأخشاب والعطور تصدر إلى مصر على الخير، ويأخذ التجار بدلها بعض الأشياء المصنوعة في مصر.

وكانت مصر غنية بتجارتها، وكان ينوح إليها كثيرون من سكان بلاد العرب والجهة الشرقية من الصحراء وسكان جزر البحر الأبيض المتوسط.

وكان المصريون يصدرون إلى هذه الأقاليم: الحبوب والمنسوجات الكتانية وورق البردي.

٥ـالفنون

الرسم والتصوير والنقوش:

١– تجلت مهارة المصري القديم في التصوير، فيما ازدانت به جدران المقابر في الدولة القديمة من النقوش والرسوم، وصور الفنانون كل الكائنات الحية: نباتية كانت أو حيوانية، في تفضيل ينم عن دقة لا تسمو عليها دقة في أي مكان أو زمان.

٢– ومهر المصري القديم في النقش. وأصبحت النقوش دينية، تنقش على جدران المعابد، وكانت عبارة عن أدعية وصلوات للآلهة.

٣– رسم المصريون رسوما بارزة أو مجوفة، وبرعوا في تلوينها بألوان تدل على ذوق سليم، فقد عثر على جدران المقابر في ميدوم على ست أوزات، برع الفنان في إبراز انعطاف رأس الطائر وانثناء رقبته وقت التقاط الطعام.

٤– جاءت رسوم الفنانين واقعية، تمثل أطوار الحياة المختلفة وعلاقة الميت بالحياة الاجتماعية من زراعة وتجارة.

٥- امتاز فن الرسم بالاهتمام بالوجه دون الجسم، وأظهر الرسامون مهارة فائقة في نقل صورة الشخص المراد رسمه نقلا يكاد يكون مشابها له تمام التشابه.

النحت وخصائص الفن:

تميز الفن المصري بخضوعه لقوانين وقواعد خاصة، قيدت الفنان بأصول معينة لا يحيد عنها، ورمت إلى تحقيق أغراض عملية محددة:

١- عمل المثالون على تخليد ذكرى الملوك، فأبدعوا في نحت تماثيلهم وتصويرها، ورسموا على الأحجار صور ملوكهم بطريقة خاصة، هي رسم الوجه من ناحية دون تجسيمه.

٢- لم يهتم الفنان المصري برسم جسم الإنسان، بل عنى برأسه، كما تجلى حين صنع الفنان تمثالا لذلك خفرع ظهر فيه جسمه في صورة أسد.

٣- كان صاحب التمثال يبدو دائما في مظهر شاب، وذلك لاعتقاد المصريين القدماء أن هذه الصورة هي التي ستبقى في العالم الآخر.

٤- جعل الفنان التماثيل مطابقة للحقيقة وتشبه صاحبها إلى حد بعيد، حتى لا يخطئه الشبح في القبر، فيموت موت أبديا.

٥- كان للبيئة المصرية أكبر الأثر في توجيه الفن عند المصريين فاعتمدوا على الأحجار في بناء عمائرهم لندرة الخشب، وأشعة الشمس

القوية جعلتهم يتجنبون عمل النوافذ الكبيرة، ورفعوا أسقف مبانيهم على عمد سيقان النبات من البردي واللوتس وجذوع النخل، وصنعوا قوائم سررهم على هيئة أرجل البقر، ورسموا سقوف دورهم وقبورهم ومعابدهم على شكل السماء مزينة بالنجوم.

٦- كان للحالة السياسية أكبر الأثر في تقدم الفن وفي تأخره: ففي صدر الدولة القديمة ازدهر الفن وفي نهايتها تدهور، وظل الفن طول عهد تلك الدولة فنا مصريا لم يتأثر بعوامل خارجية.

٧- أدت فكرة الخلود بعد الموت إلى أن نحت التماثيل من حجارة صلبة كالمرمر والبازلت والجرانيت، حتى لا تتعرض هذه التماثيل إلى التحلل والفناء.

٨- اعتبر الفن المصري خادما للدين، فكانت لذلك أكبر الأثر في تقدم صناعة النحت، كما تجلى في إقامة المصاطب والأهرامات والمعابد وصنع التماثيل والمسلات من الصخر والخشب والمعادن.

وتمثل فن النحت في الدولة القديمة في المظاهر التالية:

(أ) القبور المختلفة الأشكال:

شاد المصريون الكثير من القبور المختلفة الأشكال: كالمصاطب (الأسرة الثالثة) وأهرام ميدوم ودهشور والجيزة (الأسرة الرابعة) والأهرام في سقارة وأبي صير (الأسرتان الخامسة والسادسة).

واستخدم المصريون في بنائها الأحجار الجيرية الضخمة والجرانيت والبازلت وبلغ المصريون في قطع الأحجار الضخمة وتنسيقها مبلغا كبيرًا من الإتقان، كما توصلوا إلى اختراع البكرات من الجرانيت لرفع الأحجار إلى علو شاهق.

ويتميز من بين هذه الأهرامات، أهرام الجيزة الثلاثة، فقد كان عصر الأسرة الرابعة عصر إنشائيًا، شيدت فيه آثار شخصت إليها شعوب الشرق والغرب بالإعجاب والدهشة، عاركت الطبيعة وأهوالها، فانتصرت على تقلباتها. ولم تستطيع عوامل العطف أن تنال منها شيئًا، بل هي باقية على الدهر، تمثل لنا فكرة الخلود والعظمة التي كان يطمح لها ملوك مصر، وتشهد على قوة الدولة القديمة وعلى الثروة وسعة العلم والمهارة الفنية في نحت الأحجار وصقلها.

(ب) التماثيل: من أشهر التماثيل المصرية في الدولة القديمة:

١- تمثال الكاتب المصري:

وهو من الحجر الجيري الملون: ويمثل كاتبا متربعا وعلى ركبتيه ملف مفتوح من البردي.



٢- تمثال شيخ البلد:

وهو من الخشب، وسمي بذلك لأن العمال الذين عثروا عليه وجدوا فيه شبها لشيخ بلدة سقارة وقتئذ.



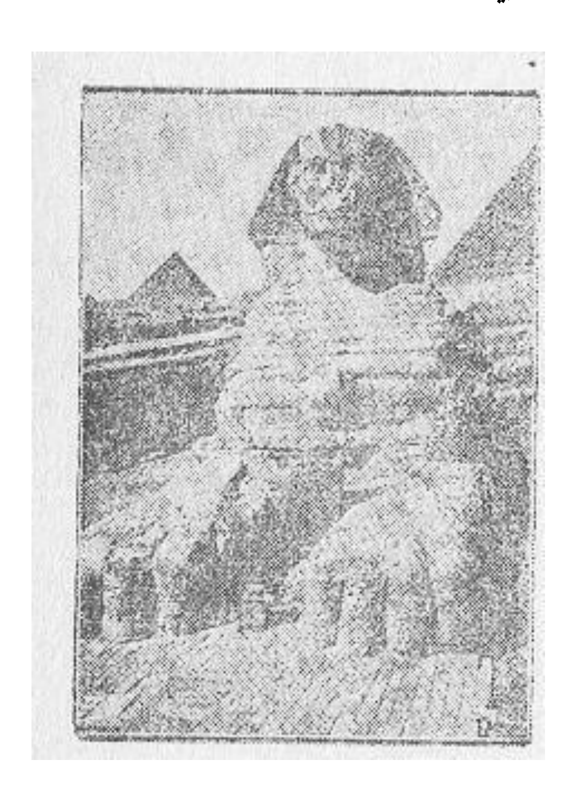
٣- تمثال الأميرة نفرت

وهي زوجة الأمير رع رئيس كهنة هليوبوليس



تمثال الأميرة نفرت

٤- تمثال أبي الهول:



ويقع إلى الشمال من هرم خوفو، وهو تمثال أقيم بأمر خفرع، منحوت من صخرة واحدة، جسمه على شكل اسد، ورأسه رأس إنسان، يمثل وجه الملك خفرع، عمل ليجرس مدخل معبد خفرع القريب منه والذي عرف باسم المعبد الجنائزي، وتغير شكل تمثال أبي الهول بمرور الزمن.

(ج) المعابد: استعمل القبر للدفن فحسب، أما الصلوات والأدعية فقد أقيمت في «المعبد» بعد أن كان الغرض هو استخدامها لكل الأغراض مجتمعة:

١- بنى المصريون القدماء، المعابد، من صخور صلبة، ولذا بقيت على الزمن، وكانت ذات أشكال متعددة ومساحات واسعة، وزخرفت بأجمل الرسوم والنقوش وشيدوا بها الأعمدة الضخمة.

٢- يتكون المعبد من: الصرح أو المدخل ويوضع به عادة برجان وتمثالا للملك الذي أنشأ المعبد ومسلتان عليهما اسمه وأهم أعماله، والفناء وهو متسع وعلى جوانبه بواكي مسقوفة، وقاعة الأعمدة وفيها تقام الحفلات الدينية وتقدم القرابين من الشعب، والهيكل وهو حجرة يوضع فيها تمثال الإله.

٣- كان يلحق بكل هرم معبدان: أحدهما المعبد العلوي لكبار رجال الدين وأهل فرعون، وثانيهما المعبد السفلي يزوره أفراد الشعب.

وبنى معبد خفرع في الجهة الشرقية من هرمه وعرف باسم المعبد الجنائزي، شيدت جدرانه وأعمدته من كتل ضخمة من الجرانيت وأرضه مغطاة ببلاط من المرمر، ويتكون من بهو ذي أعمدة وغرفتين صغيرتين بهما تماثيل الملك خفرع، وجد منها تمثالان جيدة، يعد أحدهما من أجمل ما أخرجه الفنان المصري القديم، ويعتبر معبد خفرع من أحسن المعابد.

ووجد في الأسرة الخامسة، نوع من المعابد، عرفت باسم هياكل الشمس، بنيت في أبي صير، وهي أفنية مكشوفة، يرتفع من قلبها مسلة، ونحت في عمارة المعبد زورقين في الصخر، لأن المصريين كانوا يعتقدون أن الإله يسير في الفجر في سفينة الصباح، وعند الغروب يعود في سفينة الليل.

(د) المسلات: يرجع تاريخ أقدم مسلة عرفتها مصر إلى أيام الأسرة الخامسة، وهي تمثل الإله رع (إله الشمس)، إذ أن الشمس لم يكن له تمثال يعبد، فأقاموا له المسلات، وكانت المسلات تقام في الدولة القديمة في وسط معابد الشمس.

٦ـ الأدب

الكتابة المصرية القديمة: كانت الكتابة المصرية القديمة لغزا مجهولاً حتى القرن التاسع عشر الميلادي، فقد كانت في بادئ الأمر كما في معظم الكتابات القديمة عبارة عن صور ورسوم تعبر عن غرض الإنسان وتسمى الهيروغليفية (الرموز المقدسة) وتستعمل فقط في المقابر والمعابد، ونشأت عن الهيروغليفية بعد ذلك كتابة أسهل وأسرع في التعبير استخدمت في الكتابة المدنية كعقود البيع والشراء وتسمى الهيراطيقية (الكتابة المقدسة)، وكانت آخر صور الكتابة المصرية القديمة هي الديموطيقية (الكتابة الشعبية) التي ظهرت في آخر عصر الأسرات.

ولما دخلت المسيحية مصر، انتهت اللغة المصرية القديمة إلى اللغة القبطية وزخرت اللغة القبطية بالآداب والشعر والحكم والمواعظ والأغاني والقصص، وانصرف المصريون إلى الوعظ الديني والاجتماعي والخيالات الدينية، وقدر المصريون التعليم، وكان المتعلم هو الذي يصل إلى الوظائف العليا في الدولة، واستخدم المصريون في الكتابة، النقش على الحجر والخشب والمعدن، وكتبوا بالمداد بأقلام من البوص على قراطيس صنعت من سيقان البردي.

وشمل الأدب المصري القديم موضوعات في عقيدة البعث والحساب والأساطير والصلوات والأناشيد، وتفرع إلى أدب ديني وأدب قصصي وحكم ونصائح، ومن أهم نواحي الأدب القديم:

١- الأدب الديني- متون الأهرام:

متون أو نصوص الأهرام تطلق على النقوش الهيروغليفية المنحوتة على جدران الحجرات الواقعة داخل هرم الملك أوناس آخر ملوك الأسرة الخامسة وعلى أهرامات ملوك الأسرة السادسة، وفي هذه المتون توجد كثير من معتقدات المصريين القديمة وأفكارهم، وكثيراً ما كشفت هذه المتون عن حوادث تاريخية على جانب عظيم من الأهمية.

٢- الأدب القصصي- قصة أولاد خوفو:

ذلك أن ا لملك خوفو دعا أولاده ذات مرة وطلب منهم أن يحدثوه عن عجائب ما قام به في بلاط أجداده عظماء السحرة، وكانوا جميعا كهنة مرتلين للملك:

فتكلم الأمير خفرع عن أحد الكهنة أنه استطاع أن يصنع تمساحا صغيرا من الشمع جعله يقبض على امرأته الخائنة، وحدثه الأمير باوف رع عن ساحر آخر استطاع بواسطة رقية سحرية أن يجلب من قاع البحر جوهرة امرأة كانت قد سقطت منها، وقد أعجب خوفو هذين الحكمين، وكان في نهاية كل قصة، يأمر بتقديم القرابين إلى بطلها.

ولما جاء دور الأمير حورددف، لم يشأ أن يقص قصة قديمة، إنما حكى لذلك عن ساحر لا يزال على قيد الحياة يأكل يوميا خمسمائة رغيف إلى جانب فخذ عجل ويشرب مائة قدر من الجعة، وفي إمكانه أن يعيد الحياة إلى جسد قطع رأسه بأن يضم الجسد إلى الرأس، فأمر الملك بإحضار هذا الساحر، وسرعان ما أحضروه إلى البلاط، وأراد الملك أن يجرب الساحر سحره في إنسان، فرفض الساحر، وطلب أن ينفذ أعجوبته في حيوان، فجيء له بإوزة فصل عنها رأسها، فتلا الساحر بعض التعاويذ، فوقف الأوزة وتحركت وكذلك تحرك الرأس، لما بلغ كل منهما الآخر كانت الأوزة تصيح، وحاول الملك عبثا بعد ذلك أن يعرف سر هذا الرجل

فرفض الساحر، وإنما قال للملك إن العرش سوف لا يستقر في سلالته، بل سيذهب ليجلس عليه سلالة الإله رع ففزع الملك.

٣- الحكم والنصائح- نصائح بتاح حب:

كانت أشهر الحكم والنصائح في الدولة القديمة، هي نصائح بتاح حتب، الكاتب المشهور الذي عاش في عهد الملك إسيسي قبل أشهر ملوك الأسرة الخامسة والذي يمكن أن يقال إنه أول كاتب في العالم (قبل سليمان الحكيم بألف سنة) ووضع لنا عدة وصايا في آداب المحادثة آداب المرءوس لرئيسه، كتبها حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م، ويمكن تلخيص هذه الوصايا فيما يلي:

١- لا تكن معجبا بنفسك، لأن الجاهل قد يلقي عليك دروسا ثمينة كالدروس التي يلقيها عليك أديب.

٢- لا ترفع صوتك في الحديث، وقل الحق لأن الحق أبدي لا يزول.

٣- لا تعامل مرءوسيك بخشونة، لأن الله هو الذي قسم حظهم في هذه الدنيا.

٤- إن أثريت فلا تنسى وضاعة أصلك، لأن الغنى هبة من الله.

٥- كن ساهرًا على حفظ رابطة الصداقة بينك وبين أصحابك.

٦- من يضع لنصائح والديه تنجح مقاصده ويعلو مركزه في حظوة الأمراء.

٧- من لا يصغى لهذه الوصايا، نعده ناقص العقل، يخيل إليه أن أهل العلم بجهالة، ومن كان جهولا اقترف كل يوم خطأ جديدًا في كل أعماله.

العلوم

برع المصريون في الدولة القديمة في الكيمياء والفلك:

١- الكيمياء- عرف قدماء المصريين علم الكيمياء بدليل معرفتهم: على البرنز من النحاس، واستخراج وتركيب الأصباغ المختلفة الألوان التي لا تزال محتفظة بلونها إلى الآن رغم مرور آلاف السنين عليها، وتحنيط الأجسام وهو سر لم يعرف حتى الآن، وإن كان قد عرف إنهم كانوا يعمدون إلى نزع الأحشاء ثم يلفون الجسد في الحصير أو الجلود أو بشرائط من الكتان مشبعة بالمواد العطرية أو نقعة في النطرون، واحتكر الكهنة أسرار التحنيط ولم يطلعوا عليها أحد.

٢- الفلك: اشتغل قدماء المصريين بالفلك وبرعوا فيه، وكان كهنة هليوبوليس أول من درس التقويم الشمسي، وتمكن المصريون بذلك في القرن الثالث والأربعين قبل الميلاد من اكتشاف السنة الشمسية وقسموا أيامها ال٣٦٥إلى ١٢ شهرا، وجعلوا كل شهر ٣٠ يومًا، وخصصوا

الخمسة الأيام الباقية للأعياد والمواسم، وجعلوا السنة ثلاثة فصول أولها فصل الفيضان وثانيهما فصل نمو الزرع (الشتاء) وثالثها فصل الحصاد (الصيف)، وقسموا اليوم إلى ٢٤ ساعة نصفها للنهار ونصفها لليل، وتمكنوا من رصد كثير من النجوم والكواكب ومعرفة مواقعها وتسجيل حركاتها، مستعينين في الوصول إلى ذلك بآلات للرصد على جانب كبير من الدقة.

الباب الخامس

حضارة مصر في العصر الإقطاعي حوالي ٢٠٠٠ ق.م

تاريخ الدولة الوسطى السياسي :

الأسرتان ١١ و١٢ :

بنهاية الأسرة العاشرة تنتهي الدولة القديمة، ويبدأ عهد الدولة الوسطى: وفيها حكم أمراء الأقاليم البلاد بالعدل، وازدهر الأدب المصري وأقيمت مشروعات الري وخاصة في منطقة الفيوم، وكثرت بعثات الملوك إلى المناجم والمحاجر في الصحراء والشرقية وسيناء.

ولم يظل حكم الأسرة الحادية عشرة لمصر، ومن أشهر ملوكها أمنحتب الثاني، ومن الأمراء الأقوياء الذين ظهروا في عهدها: أمراء أسيوط وأمراء فقط، وكان كل منهم في إقليمه بمثابة ملك، واتخذت طيبة عاصمة للبلاد.

وحكمت الأسرة الثانية عشرة ما بين ٢١٢ و٢١٣ سنة، وفي عهدها استقل الملوك وصارت سلطتهم مطلقة، واضمحل نفوذ الأمراء، وأشهر ملوك هذه الأسرة هو أمنمحات الأول الذي عمل على إنهاء الحروب الخارجية والقضاء على استقلال الحكام بأقاليمهم، ونقل مقر

الملك من طيبة فقد بنى مدينة أتت تاوى المعروف الآن باسم اللشت بمديرية الجيزة واتخذها عاصمة له، وتتابع على الحكم عدة ملوك تمتعت البلاد في عهدهم بالاستقرار والرخاء، ومن أشهرهم سنوسرت الأول وسنوسرت الثالث، وقد عنى ملوك هذه الأسرة بتقوية الجيش وتزويده بالأسلحة حتى توطيد ملك مصر في بلاد النوبة، وعد عصرها العصر الذهبي في تاريخ مصر القديم.

الأسرات ١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و١٧ –عصر الاضمحلال الثاني:

ودخلت مصر في دور انحلال طوال عصر الأسرات ١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و١٧ حتى تمكن أحد أمراء طيبة من طرد الهكسوس من مصر، وهم غزاة أجانب، نشروا الفوضى في البلاد، وبرحيلهم على الديار المصرية قامت الدولة الحديثة.

١ـ الحكومة

مدى نفوذ الأمراء:

كانت مصر مقسمة إلى أقاليم، يحكمها أمراء، يتولون مناصبهم بالوراثة، وبلغوا درجة كبيرة من القوة والسلطان حتى صاروا أشبه بفراعنة صغار: فشيدوا في أقاليمهم قصوراً شامخة، واتخذ كل منهم لنفسه حاشية كبير ة ورئيسا للمالية وكون هيئة قضائية وأسس الدواوين، وصار يجتمع الضرائب في إقليمه ويرأس هيئاتها الدينية ويقود جيشه، وبذل غاية جهده

لإرضاء سكان إقليمه وروفع مستواهم الثقافي والاجتماعي وإقامة المباني والمعابد وتشجيع الفنون والصناعات، وتنافس الأمراء على النهوض بأقاليمهم.

وتجلت في الدولة الوسطى ظاهرة جديدة هي أن هؤلاء الأمراء دانوا بالطاعة والولاء للملك، فقد أخضعهم فراعنة مصر لنفوذهم، فتنافسوا في التقرب من الملك وفي خدمة أقاليمهم بدلا من التنافس في التوسع والسيطرة.

إقامة الجسور وبناء الخزانات: اضمحلت الزراعة في أواخر الدولة القديمة في مصر، فلما جاء ملوك الدولة الوسطى؛ عملوا على استعادة مجدهم بأن استصلحوا الأراضي البور، وحفروا الآبار في الطرق الصحراوية، ومن أشهر ملوكها امنمحات الثالث، وامتاز بمشروعاته العظيمة، فقد كان شديد الاهتمام بالزراعة والري، حتى أنه قام بمشروع جليل لخزن مياه الفيضان حتى ينتفع بها أيام التحاريق، ولذا ارتبط اسم امنمحات الثالث بعمل عظيم في منطقة الفيوم وهو حسر المياه عن منطقة تبلغ ٢٠٠٠٠ وذلك ببناء خزان يتمكن بواسطته من التصرف في الماء الذاهب إلى البحيرة، وتمكن بذلك من تحويل جزء عظيم من أراضي الفيوم إلى أراضي زراعية.

مقاييس النيل: وأنشأ أمنمحات الثالث مقياسا للنيل عند سمنة، بالقرب من الشلال الثاني في شمال السودان، إذ اتخذ موظفوه في قلعة سمنة

من صخور وادي النيل، سجلا يقيدون عليها ارتفاع الماء في مجرى النهر، وتحول هذا السجل إلى مقياس نيلي، ولذا زادت مساحة الأراضي الزراعية في عهده وتمتعت البلاد بالرخاء.



أمنمحات الثالث

التجارة: عنى المصريون بالتجارة الداخلية والخارجية، وتجلت هذه العناية في عصر الأسرة الثانية عشرة:

١- أقام ملوك الأسرة الثانية عشرة شبكة من الطرق البربرية الضخمة وزودت هذه الطرق بالآبار.

٢- ابتكر ملوك الأسرة ١٢ موازين خاصة ذات الصنج، حسما للنزاع الذي كثيراً ما كان يقوم بين البائع والمشتري.

٣- وفي سبيل تسهيل الوصول إلى بلاد بنت، شق سنوسرت الثالث من ملوك الأسرة ١٢ قناة توصل خليج السويس بفرع النيل الشرقي، ثم تسلك تلك القناة إلى البحر الأحمر لتبحر فيه السفن إلى بلاد بنت، وبعث ملوك مصر في عهد الدولة الوسطى بأساطيلهم البحرية لجلب الأشجار العطرية وأشجار المر والصمغ.

٤- وجدت علاقات تجارية قوية بين مصر وكريت، كما يستدل من الأواني الملونة التي تعود سكان جزر البحر الأبيض عملها وتصدير بعضها إلى مصر، ولا تزال بقاياها موجودة بكثرة في بلدة قريبة من الفيوم شيدها سنوسرت الثالث من ملوك الأسرة ١٢.

٥- مهر صناع مصر في عهد الدولة الوسطى في قطع الأحجار الصلبة وصنع الأحجار الكريمة، فقد اكتشفت في عهد الأسرة ١٢ أغلب المجوهرات، اتصل ملوك تلك الدولة ببلاد النوبة لجلب الذهب.

٦- اتصل المصريون في عهد الدولة الوسطى ببلاد السودان لجلب العاج والأبنوس وريش النعام، وبشبه جزيرة سينا لاستخراج النحاس.

الإحصاء: ومن أبرز مظاهر التنظيم الإداري في عهد الدولة الوسطى، قيام الحكومة بعمل إحصاء شامل بعدد السكان ومقدار الأملاك، فكان رب الأسرة يسجل عدد أفراد أسرته، وخدمه وعبيده وماشيته، ويسجل ذلك في سجلات خاصة تحفظ في الديوان، ويعمل الإحصاء في الغالب مرة كل ١٥ عاما.

الجيش: كونت مصر في الدولة الوسطى أول جيش منظم على استعداد للحرب:

١-كان حكام الأقاليم يمدون الملك بما يحتاج إليه من الجند.

٢- اختفت الفروق الخاصة بحكام الأقاليم، بعد أن كون سنوسرت الثالث من ملوك الأسرة ١٢، الذي قضى نهائيا على نفوذ الأمراء حرسا ملكيا من الضباط الممتازين عرف باسم اتباع الملك، وكان هذا أول جيش ملكي ثابت وزوده الفراعة بالأسلحة والعتاد.

٢- اختفت الفرق الخاصة بحكام الأقاليم، بعد أن كون سنوسرت الثالث من ملوك الأسرة ١٢، الذي قضى نهائيا على نفوذ الأمراء، حرسا ملكيا من الضباط الممتازين عرف باسم اتباع الملك، وكان هذا أول جيش ملكي ثابت، وزوده الفراعنة بالأسلحة والعتاد.

٣- ووجدت إلى جانب هذا الجيش، قوات البوليس والحاميات التي تسكن القلاع والحصون.

وقد أدى الجيش المصري في الدولة خدمات جليلة لمصر، فقد حمى حدود مصر الشرقية وصد هجمات الليبيين وفتح النوبة، وحرر البلاد من حكم الهكسوس وأعاد إليها استقلالها، واستخدمت السفن في كفاح المصريين وثورتهم على الهكسوس.

الحصون: عنى ملوك الدولة الوسطى وأمراؤها بإنشاء الحصون.

١- عمل أمراء الإقطاع على تحصين مدنهم وإحاطتها بأسوار لصد هجوم جيرانهم.

٢- أنشأ الملوك الحصون على الحدود لحماية القوافل التجارية وأعادوا ما تهدم منها:

٣- ومن أشهر الحصون في الدولة الوسطى:

(أ) حصن سنفرو: أعاد أمنتمحات الأول بناءه وعرف باسم جداراً لحاكم على الحدود الشمالية الشرقية.

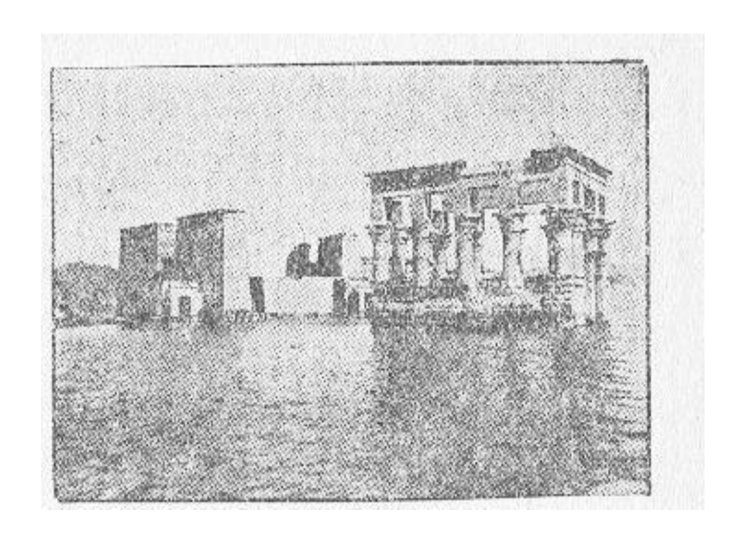
(ب) حصن سمنة وحصن قمة: بناهما سنوسرت الثالث عند الشلال الثالث، كما بنى حصنا ثالثا في جزيرة جنوبي سمنة، وقد بنى هذه الحصون الثلاثة بقصد وقف تقدم الزنوج شمالا وحماية الطرق إلى مناجم الذهب وتأمين طرق القوافل التجارية.

٢- القصص الديني

تزوج إله الأرض جب من آلهة السماء نوت وتنتج عن هذا الزواج أربعة أبناء أوزوريس وسبت وإيزيس ونفريس.

ولأهمية أوزوريس، انتشرت بين المصريين قصته بأنه كان في أول أمره إلها، وكان في الوقت نفسه ملكا عادلا رحيما برعيته يحكم في الأرض، وساعدته في الحكم إيزيس أخته وزوجته في وقت واحد، كما جرت عادة

قدماء المصريين، غير أن أخاه ست (إله الشر) سولت له نفسه أن يقتل أخاه.



ولتحقيق غرضه، أخذ ست مقاس حجم أوزوريس وصنع بمقاسه صندوقا، زينة بالأحجار الكريمة، ودعا أخاه إلى وليمة، وأعلن أنه سيعطي الصندوق هدية لمن يكن على قده، فلم يطابق جسم أحد منهم، ولما جاء دور أوزوريس ورقد في الصندوق: أغلقه عليه ست وأتباعه وحملوه والقوه في النيل.

علمت الآلهة إيزيس بمقتل أوزوريس فبكت عليه، وبحثت عنه حتى علمت أن الصندوق الذي رقد فيه أوزوريس قد ألقته الأمواج في بيلوس (على ساحل فلستين)، فسافر إلى هناك وسمح لها بأخذ الصندوق وجعت به إلى مصر.

غير أن ست تمكن من فتح الصندوق، وقطع جسم أخيه اثنتان وسبعون قطعة وألقى بكل منها في مقاطعة من مقاطعات مصر، لكن إيزيس استمرت في البحث عن هذه القطع، حتى جمعتها ودفنت كل قطعة في الجهة التي وجدتها فيها، ثم قرأت التعاويذ السحرية عليها حتى دبت فيها الحياة.

وحارب حوريس (ابن أوزوريس) عمه ست، وانتصر عليه ورفض أوزوريس أن يعود إلى الحكم في الأرض، فتولى ابنه حوريس حكم مصر، واستمر أوزوريس في العالم الآخر وصار: إله الموتى ورئيس المحكمة التي تزن حسنات وسيئات كل ميت.

أهمية القصة: شاعت قصة أوزوريس في مصر القديمة وانتشرت انتشاراً كبيراً واعتبرها الناس من القصص الشعبي بعد أن كانت قصة دينية:

١- أثرت هذه القصة في أخلاق المصريين فأصبحوا يهتمون بالفضائل ويبتعدون عن الشر والغدر ولا يحاولون إغضاب الآلهة خوفاً من بطش أوزوريس في محكمة العدل الإلهية.

٢- صورت هذه القصة حياة المصريين، فقد يرمز أوزوريس إلى النيل، وإيزيس إلى أرض الوطن، وتصوروا أن أوزوريس هو الذي علم الناس الزراعة ونظم حياتهم.

٣- ازدادت أهمية أوزوريس في العصر الإقطاعي، الذي بدأ فيه كهنة أبيدوس يمثلون روايات معينة على تاريخ حياة هذا الإله، ويسردون ما لاقاه من قتل وحياة، وربما كان هذا أقدم تاريخ للتمثيل على سطح الأرض.

٤- كان لقصة أوزوريس أثر كبير على مجرى الاعتقادات الدينية فاعتقد المصريون بأن كل من أحسن عملا في الدنيا كما أحسن أوزوريس، فلابد من أن يعود مرة ثانية بعد موته ويتمتع بالنعيم، فكانوا يقولون: «إن من مات فإنما يبرح الدنيا حياً لا ميتاً».

الحساب والميزان: نسج المصريون حول قصة أوزوريس؛ قصة أخرى عن محكمة أوزوريس وكيفية عقدها، فاعتقدوا أنه بعد موت الموت، تظهر روح الميت أمام محكمة أوزوريس إله الموتى وملك العالم الآخر، لمحاسبته على عمله في دنياه:

١- لكي يصل الموتى إلى محكمة أوزوريس، كان ينبغي أن يعبروا نهرا كبيرا، مياهه باردة إذا شربها الصالحون، وساخنة إذا شربها الطالحون، وكان في خدمة أوزوريس مركب سحرية عليها ملاح لنقل الموتى، فإذا اقتنع الملاح بأن الأرواح الواقدة لعبور النهر صالحة طهورة، نقلها إلى محكمة أوزوريس، أما إذا كانت طالحة شريرة، رفض نقلها على مركبه، وكانت له عينان في مؤخرة رأسه حتى يستطيع أن يرى الأرواح التي تحاول ارتقاء المركب خفية وهو منهمك في دفعها.

بعد أن تعبر الأرواح النهر، كانت تمر بسبعة أبواب كبيرة يؤدي كل منها إلى ردهة واسعة، ويحرس كل منها ثلاثة آلهة مرعبة. وكان يعلن قدوم كل روح إلى أوزوريس، وبدونه إذنه لم يكن يسمح بالدخول لأي روح. وقد كان إله الشمس يشق عباب النهر كل ليلة، وبرفقته جماعة من الآلهة فينعم على الموتى بالنور والهواء، ويفيض بالمأكل والمشرب على الصالحين، وينزل بالأشرار أشد العقاب.

٢– كان أوزوريس يجلس على عرشه في قاعة الحساب، ومن حوله ٤٢ قاضيا (إبليسا) ذو أشكال مرعبة، لكل منهم رأس ثعبان أو صقر أو كبش، وفي يد كل منهم مدية ويحمل اسما مخيفًا مثل: شارب الدم، محطم العظام، روح اللهب.

٣– أمام هذا الجمع الرهيب من القضاة، كان الميت يقف ليترافع عن نفسه: والخضوع لكم أيها الآلهة، إني لم أسيء إلى أحد، ولم أظلم عائلتي، ولم أسلك طريق الظالمين، ولم أهمل الجائع والمسكين، ولم أقتل ولم أحدث في يميني، ولم أكذب، أنا طاهر... أنا طاهر... أنا طاهر، سلام عليكم أيها القضاة بقاعة العدل، خلصوني في يوم الحساب العظيم، فأنا لم أعمل شيئًا يغضب الآلهة، فقولوا مرحبًا... مرحبًا... أدخل بسلام».

العقاب والثواب: بعد المرافعة يعرض قلب الميت على الميزان، وكان الإله نحوتي يقوم بمراقبة وزن القلب الذي كان يوضع في كفة، وريشة معات إله الصدق في كفة أخرى، وهذه الريشة من ريش النعام فهي خفيفة الوزن،

ولهذا كان يتحتم أن يكون القلب خفيفا حتى يثبت أن صاحبه غير مثقل بالآثام:

١- إذا هبطت كفة الميزان، كان الميت يعد صالحا ومن المذنبين الظالمين، ويقول أوزوريس:«ابعد عني الشرير، واذهب إلى حيث تلاقي أشد العقاب، أيها القضاة: اقتلوه بسيوفكم، وتغذوا الآن من لحمه ودمه، لقد جعلتك غنيمة للوحوش والأفاعي.

٢- ومن رجحت كفة قلبه، كان صالحا وأدرج اسمه في سجل الأبرار، وكان حوريس يأخذ بيده ويقدمه إلى أوزوريس فينطق بالحكم قائلا: «ليخرج الميت فائزاً من قاعة العدل وليذهب حيثما شاء، ولتفتح له أبواب الجنة ولتزفه جميع الآلهة إليها، وليرد له قلبه ولتهب له حياة جديدة».

الجنة في اعتقاد قدماء المصريين: كان الأطهار المبررون في نظر أوزوريس تضمهم الجنة، وكانت عبارة من جنتين:

١- جنة أوزوريس: وهي التي كان يفضلها أتباع هذا الإله، وهم غالبية أفراد الشعب، ممن كانوا يعتقدون أنهم سينعمون في هذه الجنة بحياة تشبه حياتهم الدنيوية، وأنهم سيقومون فيها بمساعدة الإله أوزوريس، ويعيشون على نبات الصدق، وهو المادة التي كان أوزوريس نفسه يتركب منها، وذهبوا إلى أنهم سيندمجون في هذا الإله ويعيشون فيه وبواسطته إلى الأبد.

٢– جنة رع: وكانوا يعتقدون أنها عبارة من مركب ينزلون فيه ويخوضون مع الإله عباب السماوات، ويقتاتون من النور، وينتهي بهم الأمر إلى أن يندمجوا في النور الإلهي نفسه، ولم تصادف جنة رع قبولا لدى غالبية المصريين، فقد كانوا يحبون أوزوريس الذي اضطهد وقتل على يد أعدائه، ثم بعث من الموت وأصبح إله الموتى وقاضيهم.

٣ـ الأدب

(أ) المغامرات البحرية

قصة البحار الغريق:

هي إحدى قصص الأدب المصري القديم، وهي قصة خرافية تصور حياة الملاحين وما يتعرضون خلالها للأخطار: ذلك أن بحاراً أركب سفينة كبيرة فيها ١٥٠ ملاحا من أمهر الملاحين، الذين اتصفوا بالشهامة والإقدام وبينما كانوا مجدين في الاقتراب من البر، اشتدت الرياح فتحطمت السفينة وغرق كل من كان عليها، أما هو فقد ألقته الأمواج على جزيرة، فنزل إلى البر ونام وحده في مكان خفى في غابة، ولما أفاق أخذ يمشي باحثا عما يأكله، فأكل تينا وعنبا وسمكا وطيورا حتى شبع، وشرب حتى روي، وظل على هذه الحالة ثلاثة أيام، وبينما كان نائما ذات يوم: سمع صوتا كصوت الرعد فاستيقظ فزعا، ولمح ثعبانا هائلا يقترب منه فاتحا فاه فاستعطفه وروى له قصته، فرق له الثعبان وأبلغه أنه ملك بلاد

بنت، ووعده ألا يمسه أذى، وذكر للبحري أنه سيبقى في الجزيرة أربعة أشهر تأتي بعدها سفينة تعيده إلى بلاده، وفي نهاية هذه المدة أتت السفينة إلى الجزيرة وودعه الثعبان، وقدم له الهدايا من المر والبخور والعطور والعاج، ولما بدأت السفينة السير، لم يجد البحري أثرًا للجزيرة، إذ زالت من الوجود، وبعد عودته قدم الهدايا التي أحضرها من الجزيرة إلى الملك فشكره وجعله في حاشيته.

٢- قصة سنوهي:

ومن قصص الأسفار والرحلات في مصر القديمة: قصة الأمير سنوهي الذي سافر إلى سنوسرت الأول ابن ملك أمنمحمات الأول لقتال الليبيين، ولما علم سنوهي بوفاة الملك، وكان في عداء مع ابنه، فر إلى سوريا حيث تزوج من ابنه حاكم شمال سوريا، فمنحه أرضا خصبة وقطيعا كبيرا من الماشية وعينه رئيسا لإحدى القبائل وعاش محبوبا مكرما، ومرت سنوات عدة وهو بعيد عن وطنه، فحن إلى مصر وخاف أن يموت وهو غريب عنها، فكتب إلى سنوسرت يطلب عفوه ويستأذنه في العودة إلى بلاده، فعفا عنه فرعون مصر وسمح له بالرجوع، ودهش الملك حين رآه وقد تغير شكله وطالت لحيته، على نحو ما كان عليه أهل سوريا، فرحب به وعينه أمينا في القصور، وحلق لحيته ووضع على رأسه شعرا مستعاراً، كما كان يفعل الأمراء المصريون القدماء، وتمتع بعطف الملك حتى مات.

(ب) قصص الحكماء و السحرة

١- وصية أمنمحات الأول:

على الرغم من الأعمال الجليلة التي تمت في عهد أمنمحات الأول، فإنه قوبل في أواخر حياته بنكران الجميل، إذ دبر بعض أفراد حاشيته مؤامرة لاغتياله ولكنه نجا منها.

وقد أثرت هذه الحادثة في نفسه، فأوصى ابنه سنوسرت الأول أن يشتد في معاملة مرءوسيه، وكان من بين وصاياه له بهذه المناسبة:

«ألا فاسمع لي ولأقوالي، ستكون ملكا، وستكون حاكم الأرضين وتنمو الخيرات والأموال في عهدك، كن شديد المراس مع موظفيك، إن الشعب يطيع فقط من يخشى بأسه، لا تقترب كثيراً من الناس ولا تثق بأخ، ولا تفتح قلبك لصاحب واحفظ قلبك لنفسك، لأن الإنسان لا يجد حليفا له يوم تشتد المصائب: أعطيت المحتاج وأطعمت اليتيم ولم أفرق بين الفقير وبين صاحب الجاه، ولكن الذين قربتهم وأحسنت إليهم ثاروا ضدي، والذين أكلوا على مائدتي وليسوا ما أعطيتهم من ثياب دبروا لي مكيدة في مساء ليلة بعد العشاء ولكني استنجدت بالحرس ولم تفلح المكيدة.

وحكم امنمحات الأول نحواً من ثلاثين سنة في الأسرة الثانية عشرة، ولما مات ساد الحزن البلاد، وليس البلاط الحداد، وأقفلت أبواب

القصر، وانتشرت القصص بعد ذلك عن كيفية موته وصعود روحه إلى السماء، مما يدلنا على أهمية حكم امنمحات الأول في تاريخ الدولة الوسطى.

٢- قصة الفلاح الفصيح:

مر فلاح من إقليم الفيوم، قبل ميلاد المسيح بثلاثة آلاف سنة، وكان حماره محملا بالملح والحبال والغاب، ليبيعها فاستولى أحد المزارعين (تحوتي) على حمار محملا بالملح والحبال الغاب، ليبيعها، فاستولى أحد المزارعين (تحوتي) على حمار الفلاح، لحاجته إلى الملح بحجة أن الحمار أتلف بعض سنابل القمح أثناء مروره بأرضه، وضرب الفلاح وأخذ حماره.

شكا الفلاح إلى الحاكم، وهو قاضي المدينة، مما حدث له، بعبارات فصيحة أوضح فيها أنه ا ستنجد بالحاكم باعتباره: القاضي العادل، نصير المظلومين، الذي يرد الحقوق إلى أصحابها ويعاقب المعتدين.

رفع القاضي شكوى الفلاح إلى الملك، وبين أنه (فلاح فصيح)، فطلب الملك إلى القاضي أن يؤجل الفصل في مظلمته، حتي يحضر إلى دار القاضي عدة مرات، ويدون الكتاب ألفاظه الفصيحة، وأخيرا استدعى القاضي الزارع تحوتي، وسأله عما فعل، وظهر صدق الفلاح الفصيح وعوقب الزارع بالضرب ومصادرة ما يمتلكه وعين الفلاح الفصيح في حاشية الملك.

(ج) أدب المدائح والملاحم

قصيدة سنوسرت الثالث:

تجلت عظمة الملكية في بعض فترات الدولة الوسطى، في عهد الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة، وفيهما صار فرعون الحاكم المطلق، ومن أشهر ملوك الأسرة الذين عظم شأن الملكية في عهدهم هو سنوسرت الثالث: فقد كان له شهرة عظيمة عند كتاب اليونان وأعجبوا به إعجابا عظيما، وإذا حكمنا على سنوسرت من رؤية صوره الموجودة في متاحف مصر وأوروبا، رأينا أنه ملك ارتسمت على محياه مظاهر الشدة وأمارات الحماسية، وقد ظهر أثر هذه الصفات في أعماله التي قام بها وأقواله التي دونت على لسانه، انظر إلى أقواله التي دونها على لوحة على حدود الشلال الثاني يعيد فيها ذكرى انتصاراته على شعوب النوبة: «هذه حدود بلادي، لا يتعداها شمالا أي شخص كان من السكان السود، أنا الملك وما أقوله أفعله، وكل ما يأتي بعدي، ويترك هذه الحدود دون حمايتها لا يستحق أن ينسب إلي، وقد تركت تمثالي هنا لا لتعبدوه، وإنما لكي تحاربوا من أجله.



ولا غرو بعد ذلك إذا أبدع الشعراء في قصائدهم في وصف بأس سنوسرت الثالث وعظمته يقول الشاعر: «ما أعظم سيد وطنه: الملاذ الذي لا يهتز، الظل الذي ينعش في الصيف، وركن الدفئ في الشتاء، والجبل الذي يهدئ العواصف، حامي القطرين، ورمز الوجهين، وموحد الأرضين».

الأغاني والأناشيد:

وقد أدى ذيوع هذه المعتقدات الدينية في مصر في عصر الدولة الوسطى إلى العناية بالأغاني الدينية التي تتلى في المعابد والجنازات وفي الحفلات والأعياد وتحية الآلهة، ووجد إلى جانبها أغاني شعبية يتغنى بها الزارع في حقله والصانع في دائرة عمله والحمال وهو يجر بضائعه من السفن وراعي الغنم وهو يناجي أغنامه.

العناية بالعلوم

زاد اهتمام المصريين بالتعليم في الدولة الوسطى، بسبب وصول أصحاب الحظ الأوفر في التعليم إلى وظائف الدولة الهامة، وأنشئت المدارس بكثرة وعنى بها الملوك باعتبارها الأداة التي اعتمدوا عليها في تخريج موظفين صالحين وبرز المصريون في علوم الطب والجراحة، والحساب، والهندسة:

(١) الطب والجراحة:

١- كان الطب المصري عبارة عن مجموعة من التعاويذ السحرية، إذ اعتقد أن الأمراض إنما تنشأ من حلول أرواح خبيثة في جسم الإنسان، مما دعاهم في كثير من الأحيان إلى كتابة الأحجبة لمداواة الأمراض.

٢- كثيرًا ما كان الطب إذ ذاك مبنياً على الأوصاف النافعة على أساس غير طبي، ومازالت بعض وصفاتهم تستعمل حتى الآن مثل زيت الخروع.

٣- تقدم الطب فيما بعد عن طريق التجارب والمشاهدة ودراسته في مدارس خاصة، حتى وجد أطباء متخصصون للأمراض المختلفة.

٤- ترك المصريون مؤلفاً هاماً في الجراحة كتبوه على أساس علمي صحيح، يمكن أن يعد أول رسالة علمية عن الجراحة، وكانت تعرف باسم بردية سميث.

(٢) الحساب:

١- الأرقام الحسابية منذ عصر ما قبل الأسرات، وكان يرمز للآحاد بخطوط مستقيمة رأسية حتى رقم تسعة، أما العشرات فكان يرمز لها بحلقات مفتوحة من أسفل.

٣- عرفوا المسائل الحسابية، مستخدمين الجمع والطرح والضرب والقسمة وعلم المساحة، ولقد اضطرهم لذلك مقاييس الأراضي وحساب الزمن والزرع والفيضان.

٤- عرفوا الكسور الاعتيادية، وعثر على كتابات رياضية تحسب سعة خزن الغلال أو مساحة حقل وبها معادلات جبرية من الدرجة الأولى.

(٣) **الهندسة**:

اتجهت عناية المصريين إلى الناحية العملية في الهندسة، ويتبين ذلك من براعتهم في تخطيط القاعدة المربعة لأهرام الجيزة الأكبر، ومن دقتهم في بناء القبوات، ومن السد الذي قيل إن مينا أقامه في القرن الثلاثين قبل الميلاد وتمكن به من تحويل مجرى النيل، ومن الخزان العظيم الذي شيده أمنمحعت الثالث لتخزين المياه في البحيرة التي عرفت باسم بحيرة موريس واستعمالها لري الوجه البحري أيام التحاريق، أما الهندسة النظرية فلم يتناول علمهم بها سوى بعض النظريات المبدئية عن محيط الدائرة وقطرها.

٤ـ الفنون

١- في الدولة بنيت القبور التي تتعلق بالملوك على شكل هرم، ولكنه باللبن وفي حجم أقل، أما حكام الأقاليم وأصحاب النفوذ من رجال الدين والموظفين فقد بنوا قبورهم في الصخور قرب أقاليمهم وزينت جدرانها بالنقوش (بني حسن وأسيوط)، وظهرت في الدولة الوسطى،

نصوص دونت على جدران التوابيت فحسب، وهي بذلك تختلف عن متون الأهرام التي دونت على جدران القبور، وبنيت أهرامات صغيرة الحجم من اللبن، تغطيها من الخارج طبقة من الحجر الجيري الأبيض في دهشور واللشت وفي منطقة الفيوم في هوارة واللاهون.

٢- أقيم في الدولة الوسطى، عدة معابد، أشهرها:

(أ) معبد منتوحتب الثاني: بناه منتوحتب الثاني من ملوك الأسرة ١١، على شكل مدرجات، يعلوها هرم صغير، من حوله قبور زوجاته نحت في الصخور.

(ب) معبد أمنمحات الثالث: بناه أمنمحات الثالث من ملوك الأسرة ١٢، عند هوارة في مدخل الفيوم، وقيل إنه كان قصراً فخما يحتوي على ١٢ ردهة و٣٠٠٠ حجرة، واستحق اسم الليبرنت أو التيه، لأن الزائرين كانوا إذا ما دخلوه صعب عليهم بالخروج منه و(تاهوا) في ردهاته وحجراته المتعددة.

٣- شيد ملوك الدولة الوسطى عدة تماثيل، من بينها:

(أ) تمثال السيدة سنوي: تجلى في صنعه مهارة الفنان المصري في إبراز المشاعر والعواطف في معالم الوجه فهي تبدو باسمة المحيا.

(ب) تماثيل سنوسرت الثالث: كانت كبيرة الحجم، وتتجلى فيها قوة شخصية فرعون مصر، وعثر عليها في معبد هرمه في اللشت.

٤- أقام سنوسرت الأول مسلة على ارتفاع ١٢ مترا من حجر الجرانيت في وسط المزارع في عين شمس.

واستخدم المصريون في الدولة الوسطى، قراطيس صنعت من سيقان البردي، كتبوا عليها بأقلام من البوص بمداد أسود أو أحمر، وكان طول كل ورقة نحو ٤٠ مترا، وكانوا يكتبون على وجه واحد من الورق، وقد حوت أوراق البردي معظم ما يتعلق بتاريخ مصر القديم من حروب ومنشئات وعلوم وصناعات وعبادات، واستدل مما ورد في أوراق البردي أن العمارة نهضت في الدولة الوسطى واتخذت طابعا جديدا، وأنها هوت إلى الحضيض لما احتل الهكسوس مصر.

٥- سقوط العصر الإقطاعي وغزو الهكسوس

بنهاية الأسرة الثانية عشرة، دخلت مصر في دور انحلال طويل، إذ تعدد الملوك الذين حكموا مصر، ولم يخلدوا أي أثر في هذه الفترة من تاريخ مصر، بل على العكس كانوا مصدر شقائها وبؤسها، فغزاها الهكسوس دون أن يلقوا أية مقاومة.

ذلك أنه غزا مصر في الدولة الوسطى، الهكسوس وهم قوم من فلسطين، عرفوا باسم الرعاة، سهل عليهم دخول مصر: أن البلاد كانت في غاية الفوضى والاضطراب، وأنهم كانوا يفوقون المصريين في عدد الجنود والمعدات الحربية، واستعملوا في حربهم مع المصريين الخيل والعجلات الحربية مما لم يكن مألوفا عند المصريين.

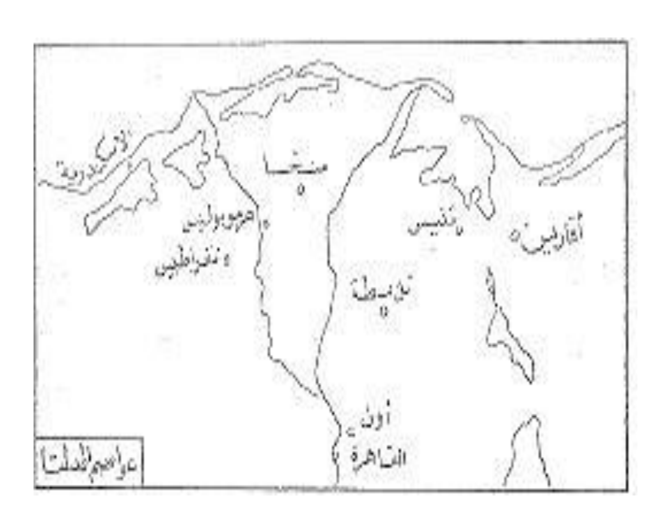
ولما تم لهم غزو مصر وإخضاعها لسلطاتهم، حكموها خلال عهد الأسرات ١٥ و١٦ و١٧، ومن أعمالهم فيها:

١- اتخذوا أفاريس في مديرية الشرقية عاصمة لهم.

٢- اشتد الهكسوس في معاملة المصريين، وقسوا عليهم وهدموا معابدهم.

٣- كانت لهم عباداتهم الخاصة ومعابدهم وعاداتهم، وبعد قليل ألفوا

حياة المصريين فتمصروا بأن اندمجوا في الحضارة المصرية، وحذو حذو المصريين في كل شيء حتى لقبوا أنفسهم بألقاب مصرية وعبدوا إلها مصريًا وأقاموا له معبداً.



٤- تعلم المصريين طرق القتال من الهكسوس، ورأوا العجلة الحربية وتأكدوا من أهمية الخيل في الحروب.

طرد الهكسوس:

انتشرت الفوضى في مصر أثناء حكم الهكسوس الذي دام نحو خمسة قرون وصمم المصريون على طردهم منها، وكانت تقيم في طيبة أسرة مصرية صميمة، حكمت الجزء الجنوبي من البلاد واستطاعت في أواخر الأسرة ١٧ أن يتحد أمراؤها في سبيل طرد الهكسوس من مصر، واستمروا في الجهاد.

وزاد العلاقات سواء بين المصريين والهكسوس: إن الهكسوس لما رأوا اتحاد المصريين ضدهم وعملهم على طردهم من مصر، بدأوا يستفزونهم فأرسل ملك الهكسوس إلى حاكم طيبة، يبلغه أن أصوات أفراس البحر في بحيرة طيبة بالوجه القبلي، تزعجه في قصره في أفاريس في الوجه البحري ويأمر بإهلاكها ضمانا لرضائه، وكانت أفراس البحر من الحيوانات التي يقدسها المصريون، فاعتبروا ذلك إيذانا بالحرب.

وبدأت منذ ذلك الحين حرب الاستقلال:

١- تولى قيادة الحرب ضد الهكسوس: البطل سقنن رع من أمراء طيبة تشاركه زوجه أياح حتب، وبموت ذلك البطل حمل راية الجهاد ابنه كاموسى فانتزع جانبا من أقاليم مصر الوسطى، وبموته قاد الجيش المصري إلى الشمال ابنه أحمس الأول.

٢- تقدم أحمس بجيوشه ناحية أفاريس عاصمة الهكسوس، وتمكن من إخراجهم منها، بعد حصار دام سنوات.

٣- تعقبهم المصريون نحو الشمال في الشمام وفلسطين، وأصبحت مصر دولة مستقلة.

٤- انتقم المصريون لأنفسهم: بأن دمروا معابد الهكسوس ومحوا آثارهم.

تثبيت عرش أحمس:

١- لما انتهت حرب الهكسوس بانتصار أحمس، أقام الحفلات في البلاد، ومنح قواده وجنوده الهدايا والمكافآت وأقطعهم الأراضي، لما أظهروه من الشجاعة في طرد العدو.

٢- اجتذب أحمس الأمراء إلى صفه، ولما حاول بعض أمراء المقاطعات عصيانه، حاربهم وقضى على سلطتهم، وأخضع بلاد النوبة حين قام النوبيون بالثورة ضده، وضم بلاد النوبة إلى ملكه.

ولم يقم للهكسوس بعد ذلك قائمة، وبد حكم الدولة الحديثة.

الباب السادس

حضارة مصر في عهد الإمبراطورية

تاريخ الدولة الحديثة السياسي

الأسرات ١٨و١٩ و٢٠:

جاءت هذه الدولة وعادت معها عظمة مصر واستقرارها خاصة طوال الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة. ومؤسس هذه الدولة هو بطل الاستقلال المشهور «أحمس» أمير طيبة، وقد كون المصريون جيشًا كبيراً منظماً، واستعموا العربات الحديثة التي تجرها الخيول والتي نقلها المصريون عن الهكسوس حينما غزوا مصر، وبفضل هذا الجيش المدرب، تمكن المصريون من تكوين اول إمبراطورية في التاريخ، أدخلت تحت نفوذ مصر، أراضي السودان وفلسطين وسوريا وجزء من بلاد النهرين.

وفي عهد هذه الأسرة، مثلت الملكة حتشبسوت دور فرعون مصر الحقيقي، وامتاز عصرها باستتباب الأمن، وقامت بإنشاء أسطول مكون من ٥٠ سفينة كبيرة، وأرسلت هذا الأسطول في بعثة تجارية إلى بلاد بنت.

وعمل تحتمس الثالث على توطيد أركان هذه الإمبراطورية والمحافظة عليها، فتدفقت الثروة على مصر وازدهرت طيبة، ولم تعد عاصمة مصر فحسب بل عاصمة العالم كله وتقدمت العلوم والفنون، وبلغت حضارة البلاد أوج عظمتها. وفي عهده تم توسيع حدود مصر، ولم يكن تحتمس قائدًا حربيًا عظيمًا فحسب، بل كان سياسيًا يعيد النظر.

وسرعان ما أخذ الضعف يدب في أوصال هذه الإمبراطورية، بعد أن قام إخناتون من ملوك الأسرة ١٨ بإنقلاب ديني عنيف، فتفرقت كلمة المصريين وانقسموا شيعًا، وبدأ النفوذ المصري في آسيا يتقلص تحت ضغط الحيثيين.

وامتازت الأسرة ١٨ التي حكمت مصر مدة قرنين ونصف قرن، بأنها الأسرة التي أتمت القضاء على الهكسوس وأسست أقدم إمبراطورية شرقية عرفها التاريخ، وأنتجت أفكاراً دينية جديدة، وتجلى في عهدها أول مظهر سياسي دولي عام في تاريخ مصر القديمة، إذ أصبح قصر الملك مركزًا لسفراء كبار حكام هذا العصر، والدليل على ذلك خطابات تل العمارنة (بمديرية أسيوط) التي تبودلت بين حكام الأمم المجاورة وفرعون مصر.

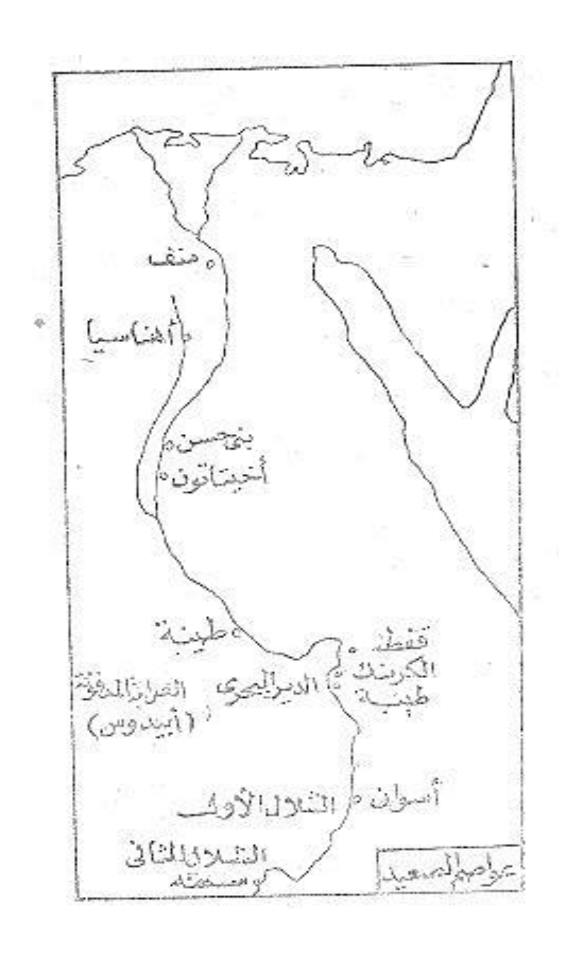
ولم يقترن انتقال الحكم من الأسرة ١٨ إلى الأسرة ١٩ بأي اضطراب وبدأ أشهر ملوكها رمسيس الثاني عصرا جديدا في تاريخ مصر، أطلق عليه عصر الإمبراطورية الثانية، وكان رمسيس آخر الفاتحين العظام في تاريخ مصر، القديم وعرف باسم رمسيس الأكبر، وحكم مدة سبعة وستين عاما، وقد أعاد إلى مصر ما فقدته في عهد الأسرة الثامنة عشرة.

وبدأ عصر الاضمحلال بعد قيام الأسرة العشرين بقليل، إذ نستثني من عهد الضعف عصر رمسيس الثالث أول ملوك هذه الأسرة، الذي

أنقذ مصر من الأخطار الخارجية، ولكنه عجز عن مقاومة عوامل الاضمحلال التي أدت إلى ضعف مصر.

من الأسرة ٢١ إلى نهاية عصر الأسرات ٣٠:

في هذا العصر، بدأ الكهنة في رسم الخطط لتولي الحكم في مصر ونجحوا في ذلك، غير أنهم ما لبثوا أن فقدوا الحكم، وحكم مصر اللوبيين، وانتهت فترة حكمهم بدخول النوبيين مصر تحت زعامة بغنخي وحكمها، ثم أصبحت مصر بعد ذلك إمارة آشورية، غير أن أمير سايس، بسماتيك مؤسس الأسرة ٢٦، مالبث أن نجح في طرد الآشوريين، ووحد البلاد وتطلع إلى إصلاح أحوالها. ولكن مصر استقبلت غزاة تمكنوا من فتحها، وهم الفرس، وأصبحت جزءاً من الإمبراطورية الفارسية، وثار المصريون واستطاعوا إجلاء الفرس عن مصر، ثم أسس المصريون أسرات وطنية، ولم يستمر ذلك طويلا حتى دخل الفرس مرة أخرى، ولكن لفترة قليلة انتهت بمجيء الإسكندر وغزوه مصر وربطها بالعجلة الرومانية.



وامتازت الأسرة ١٨ التي حكمت مصر مدة قرنين ونصف قرن، بأنها الأسرة التي أتمت القضاء على الهكسوس وأسست أقدم إمبراطورية شرقية عرفها التاريخ، وأنتجت أفكاراً دينية جديدة، وتجلى في عهدها أول مظهر سياسي دولي عام في تاريخ مصر القديمة، إذ أصبح قصر الملك مركزاً لسفراء كبار حكام هذا العصر، والدليل على ذلك خطابات تل العمارنة (بمديرية أسيوط) التي تبودلت بين حكام الأمم المجاورة وفرعون مصر.

ولم يقترن انتقال الحكم من الأسرة ١٨ إلى الأسرة ١٩ بأي اضطراب، وبدأ أشهر ملوكها رمسيس الثاني عصراً جديداً في تاريخ مصر، أطلق عليه عصر الإمبراطورية الثانية، وكان رمسيس آخر الفاتحين العظام في تاريخ مصر، القديم وعرف باسم رمسيس الأكبر، وحكم مدة سبعة وستين عاما، وقد أعاد إلى مصر ما فقدته في عهد الأسرة الثامنة عشرة.

وبدأ عصر الاضمحلال بعد قيام الأسرة العشرين بقليل، إذ نستثني من عهد الضعف عصر رمسيس الثالث أول ملوك هذه الأسرة، الذي أنقذ مصر من الأخطار الخارجية، ولكنه عجز عن مقاومة عوامل الاضمحلال التي أدت إلى ضعف مصر.

من الأسرة ٢١ إلى نهاية عصر الأسرات ٣٠:

في هذا العصر المتأخر، بدأ الكهنة في رسم الخطط لتولي الحكم في مصر ونجحوا في ذلك، غير أنهم ما لبثوا أن فقدوا الحكم، وحكم مصر اللوبيين، وانتهت فترة حكمهم بدخول النوبيين مصر تحت زعامة بغنجي وحكموها، ثم أصبحت مصر بعد ذلك إمارة آشورية. غير أن أمير سايس، بسماتيك مؤسس الأسرة ٢٦، مالك أن نجح في طرد الآشوريين، ووحد البلاد وتطلع إلى إصلاح أحوالها، ولكن مصر استقبلت غزاة جدد تمكنوا من فتحها وهم الفرس، وأصبحت جزءًا من الإمبراطورية الفارسية، وثار المصريون واستطاعوا إجلاء الفرس عن مصر، ثم أسس المصريون أسرات وطنية، ولم يستمر ذلك طويلا حتى دخل الفرس مصر مرة أخرى، ولكن

لفترة قليلة انتهت بمجيء الإسكندر، وغزوه مصر وربطها بالعجلة الرومانية.

١ـ الحكومة

الملكية: استرد فرعون مصر في الدولة الحديثة قوته وصار سيد البلاد وراعيها، وأصبحت الملكية في عهد الملك أحمس الأول ذات صبغة جزئية حربية لأنها قامت على أساس حربي.

وبلغت الملكية مبلغا عظيما من العظمة، وهذا نداء تحتمس الأول (١٥٤٠– ١٥٤١ق.م) ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة يخاطب رعيته، يدل على ما كان الملوك مصر في ذلك الوقت من المكانة وعلو الشأن: «هذا مرسومي الملكي إليكم ينبئكم بأن جلالتي قد تبوأت عرش هورس الحي، وأنه لا مثيل ولا شريك لي في الحكم إلى الأبد، أنا صاحب الجلالة ملك الأرضين، أنا الملك الأعظم ملك مصر العليا والسفلى، قوما بتقديم القرابين إلى الآلهة، ورتلوا الأناشيد كي تبارك الآلهة لي في الملك، وخذوا أيمانكم من الآن باسم جلالتي» ووصلت بعض الأميرات إلى العرش وأشهرهن حتشبسوت.

علاقة الملك بالأمراء: وخضع أمراء الأقاليم في الدولة الحديثة، لفرعون مصر، خضوعاً تاماً، حتى أصبحوا كأنهم موظفين يعينهم فرعون، ولم يتعد نفوذهم نفوذ مديري المديريات في العصر الحديث، وقامت العلاقات بين الملك والأمراء على الأسس التالية:

١- أن الملك أصبح له إشراف مطلق وسلطة فعلية على جميع أمراء الأقاليم، بحيث أنه لم يعد يشرف فقط على الإدارة المالية والقضائية في المقاطعات ولم يعتمد على استمالة الأمراء بالهدايا، بل أصبحت قوة الملك الحربية هي المحور الذي يدور حوله التوازن الإداري في الديار المصرية.

٢- أن الملك عمد إلى توطيد علاقته بالأمراء عن طريق: استدعاء أولاد بعض الأمراء في أقطار الإمبراطورية لتربيتهم في البلاد الملكي حتى ينشأوا على محبة ملك مصر، وزاد على ذلك أن شجع التزاوج بين أفراد البيت الملكي وبين الأمراء لإيجاد روابط قوية بين البيت المكي والبيوتات الشهيرة.

٣- إن أمراء مصر شغلوا عن المشاغبات الداخلية وانصرفوا إلى التآزر مع الملك في الفتح الخارجي الذي امتاز به عصر الإمبراطورية، حتى يكون لكل من هؤلاء الأمراء نصيب من الثروة التي ينتجها قيام الإمبراطورية.

الموظفون:

١- كان الوزير على رأس الحكام وكبار الموظفين، ونظراً لأهمية هذا المنصب وسعة اختصاصاته، لم يقتصر تحتمس الثالث من ملوك الأسرة ١٨ على اتخاذ وزير واحد، بل عين وزيزين توزع بينهما السلطة: اختص أحدهما بشئون الصعيد ويقيم في مدينة طيبة، والآخر بشئون الدلتا ومقره

مدينة منف أو هليوبوليس، ومن أشهر وزراء الدولة الحديثة الوزير ورخميرع من الأسرة ٢٠.

٢- استحدثت في الدولة الحديثة وظيفة نائب الملك في الجنوب، ويعرف أيضًا باسم ابن الملك، وهي وظيفة أنشئت في الدولة الحديثة، يتولى صاحبها إدارة أقاليم الجنوب والإشراف على شئون المال والتجارة نيابة عن الملك.

٣- استحدثت كذلك وظيفة أمراء الأقاليم الأسيوية في سوريا وفلسطين وما بين النهرين، وكانوا يتولون إدارة شئون أقاليم الإمبراطورية المصرية تحت إشراف مراقبين من المصريين، دون المساس بقوانين تلك الأقاليم.

وفي عصر الإمبراطورية، ازداد عدد الموظفين، وصارت لهم أهمية خاصة، وكانوا على جانب كبير من العلم والخبرة.

تنظيم القضاء: ظلت مصر تحكم بنظم قضائية وإدارية ومالية سليمة، حتى كانت الثورة الدينية التي قام بها إخناتون من ملوك الأسرة ١٨ وأدت إلى استياء رجال الجيش وكهنة طيبة والشعب المصري من حكمه، وسادت الفوضى من مصر وفي الولايات التابعة لها حتى خلعوا حكامها المصرين وأعلنوا عصيانهم للحكم المصري، وكذلك أقفرت الخزانة المصرية التي كانت عامرة بأموال الجزية التي ترسل لمصر من الأقطار التابعة لها ونقصت

الضرائب المحلية وأوقف العمل في مناجم الذهب وعمت الفوضى جميع فروع الأداة الحكومية.

ولكن بعد سنوات قليلة، اعتلى العرش على حر محب آخر ملوك الأسرة ١٨، فأصدر قانونا يحاكم بمقتضأه المخالفون لنصوصه بعقوبات قاسية على كل من يعبث بأموال الدولة.

ووقعت في عهد رمسيس الثالث، من ملوك الأسرة ٢٠، فتنة جامحة بقصد خلع الملك عن العرش، تزعمتها إحدى زوجاته واشترك معها بعض نساء القصر واكتشفت المؤامرة، وقدم القائمون على تنفيذها من رجال ونساء إلى المحاكمة، وحكم عليهم بأحكام قاسية.

٢ـ الجيش

تنظيم الجيش: عنى ملوك الدولة الحديثة بالجيش المصري، وصار لمصر جيش واحد، وفي حالة الحرب يهب الأمراء ويقفون جميعا تحت راية الملك، وأصبح لرجال الجيش مكانة عظيمة، وأتيح لهم تكوين الإمبراطورية المصرية، وكانت الجيوش تعود من فتوحاتها مظفرة تسوق أمامها الأسرى وتحمل المغانم، حتى خضعت لمصر دول الشرق وتقرب أمراؤها إلى فرعون مصر بالهدايا، وقد أغدق على الضباط والجند بالمنح والهبات وألقاب التشريف ووزع عليهم غنائم الحرب، واعتبر الملك: قائد الجيش الأعلى ويليه قواد يختارون من بين الأمراء، وقد نظم الجيش على الأساليب الحديثة.

١– قسم الجيش إلى فرق، وأطلق على كل منها اسم أحد الكهنة.

٢– تكون الجيش من المشاة ومن الفرسان.

٣– ألحق بالجيش فرق للتجسس على تحركات ومواقع الأعداء.

٤– أنشئت إدارة للجيش عرفت باسم: بيت الأسلحة.

٥– أسست في منف مدرسة حربية، لتلقي فنون الرماية ضرب الفروسية، وصارت تلك المدينة مركزًا إقامة الجيش في عصر الإمبراطورية.

٦– استخدمت الخدع الحربية في القتال، فقد اشتهر قصة استيلاء الدولة الحديثة على يافا، باصطناع الحيلة بعد أن استعصت على القائد المصري، بأن أوضح لحاكم يافا أنه ناقم على فرعون ويريد الغدر به، فلما اطمأن إليه الحاكم وأصبح في مجلس القائد، ضربه القائد بعصاه، فقضى عليه ثم حمل القائد مائتين من رجالة إلى غرائر إلى يافا، وما أن بلغوها حتى انطلقوا فيها واستولوا عليها.

٧– لبس الجند: الدروع لحماية أجسامهم، وقبعة محشوة بالقش على رءوسهم، وثيابا قصيرة لا تمنعهم من التحرك أو السير بسهولة، واستعمل الجيش من الأسلحة: الفؤوس والخناجر والبلط والرماح والدروع.

استخدم الخيل وسلاح العجلات الحربية:

١- عرفت الخيول لأول مرة في مصر عقب غزو الهكسوس لها، فقد كانوا يستخدمونها في جر العجلات الحربية، وكان هذا السلاح سبب هزيمة المصريين أمام الهكسوس، وألف المصريون ركوب الخيل واستخدامه في الحروب، واستعمله أحمس في حربه ضد الهكسوس، مما كان له أكبر الأثر في انتصار أحمس على الهكسوس، واشتركت الخيول والفرسان في حروب الإمبراطورية، ولذا أصبح سلاح الفرسان المصري من أقوى الأسلحة التي يعتد بها.



العجلة الحربية

٢- كانت العجلة الحربية تتركب من عجلتين وعربة خفيفة يجرها زوج من الجياد، وكان طاقم العزبة يتكون في الجيش المصري من اثنين: السابق، والمحارب بالقوس والحربة والسهم.

الأسطول:

١- كان لمصر أسطول تجاري، قام بعدة رحلات، أهمها الرحلة إلى بلاد بنت (الصومال، جنوب البحر الأحمر)، وقامت حتشبسوت ببناء ذلك الأسطول وكان مكونا من ٥٠ سفينة كبيرة.

٢- وكان لمصر أسطول حربي –غير الأسطول التجاري- ويتكون من عدة سفن تحت قيادة ضابط عظيم، يطلق عليه «رئيس الأسطول» وكان لكل سفينة اسم خاص، ونقشت أخبار المعارك الحربية والبحرية على جدران المعابد: فقد نقش على جدران معبد هايو خبر معركة بحرية هامة، تعتبر من أقدم المعارك البحرية.

٢- وظهرت قوة الأسطول المصري في عهد رمسيس الثالث من ملوك الأسرة ٢٠، حين استطاع الأسطول هزيمة السفن الفلسطينية وغيرها من سفن شعوب البحر الأبيض وكانت قد حاولت الاستيلاء على مصر.

٤- وبنى نخاو من ملوك الأسرة ٢٦ أسطولا ضخما، استخدم الفينقيين في قيادته، لأنهم كانوا أمهر ملاحي العالم إذ ذاك، وأمر نخاو أسطوله بالسفر حول إفريقية والعودة عن طريق بوغاز جبل طارق، واستغرقت رحلتهم ثلاث سنوات، عاد الضباط الفينقيون على أثرها إلى مصر يروون على مسامع نخاو كثيرًا من القصص الممتعة عن مشاهداتهم ومحاضراتهم في تلك الرحلة الطويلة.

مجد مصر الحربي:

تميز عهد الدولة الحديثة في تاريخ مصر القديم بإقامة إمبراطورية شاسعة، يرجع الفضل في إقامتها وتوطيد أركانها إلى: تحتمس الثالث من ملوك الأسرة ١٨، ورمسيس الثاني من ملوك الأسرة ١٩.

وكان تحتمس الثالث من أعظم ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وتوالت الحملات التي أرسلتها تحتمس إلى بلاد الشرق، حتى بلغت ١٧ غزوة إلى سوريا، عادت جميعها ظافرة، وأرسل إليه ملوك بابل والحيثيون الهدايا الثمينة إظهارا لولائهم، وأرسلت جزية قبرص وبلاد بنت محاصيلها إليه طمعا في رضائه، ومد حدود مصر جنوبا حتى الشلال الرابع، ومن أعظم المعارك التي خاضها تحتمس، وهي معركة مجدو.

وأطلق على عصر الملك رمسيس الثاني، عصر الإمبراطورية الثانية، فقد استمر في سياسة الغزو والفتح التي ابتعها تحتمس الثالث، وجهز جيشا ضخماً، قسمه إلى أربع فرق، سميت كل واحدة منها باسم معبود، فأطلق عليها: آمون ورع وبتاح وست، وقاد رمسيس الثاني معركة قادش ضد الحيثين، وتعد من أشهر الوقائع في التاريخ القديم.

فتح سوريا:

١ـ واقعة مجدو:

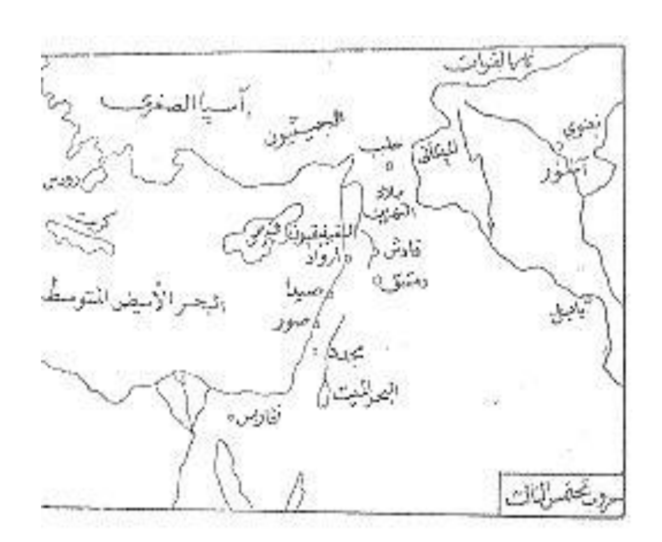
كانت الحملة الأولى لتحتمس الثالث في العام الثاني والعشرين من حكمه، أي في السنة الأولى من انفراده بالملك، فغادر أحد الحصون الكائنة على مقربة من القنطرة في طريقه إلى فلسطين، فوصل إلى غزة بعد تسعة أيام، وكان رمسيس يعلم أن الذين شقوا عليه عصا الطاعة، قد جمعوا جموعهم عند مدينة مجدو (في الناحية الشرقية الشمالية من جبل الكرمل) تحت رئاسة أمير قادش.

ولما تقدمت الجموع إلى مجدو، اعتبر تحتمس أن في هذا اعتداء عليه وعلى حدوده، ولهذا هب للدفاع عن المنطقة.

وكان جيش الأعداء في مجدو على أتم استعداد من حيث كثرة عدد الجند وتحمس قوادهم.

عقد تحتمس الثالث مجلسه العسكري، ونصحه قواده بأنه ليس من الحكمة أن يخاطر بسلامة الجيش وحذروه من اتخاذ طريق الجبال، لأنه لا يأمن أحد على سلامة الجيش في ممر ضيق لا يتسع إلا لمسير عربة واحدة.

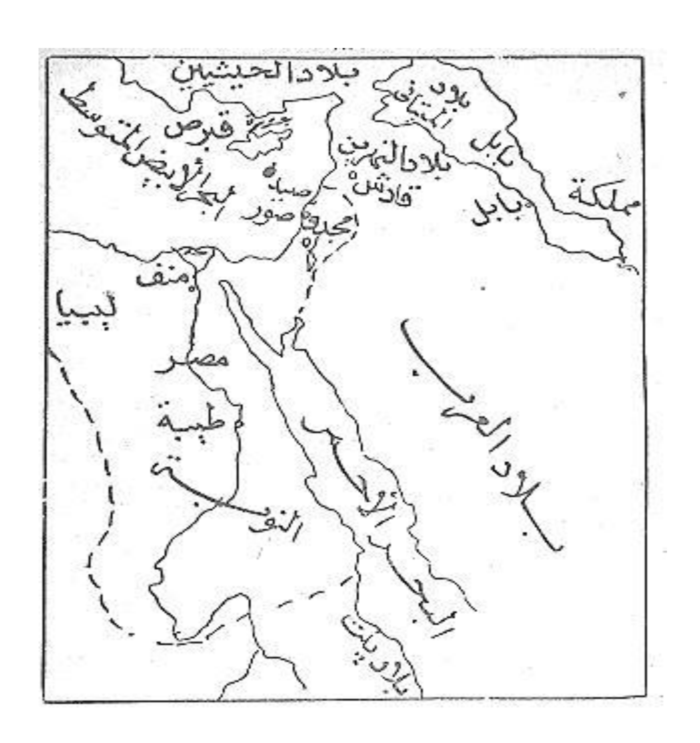
صمم تحتمس على القتال، وتحرك على رأس جيشه في فجر اليوم التالي، ودارت الحرب على النحو التالي:



١- سار تحتمس في طليعة جيشه على قدميه، ولما انتهى من اجتياز الممر، زحف إلى مجدو، بعد أن تم تجميع جيشه.

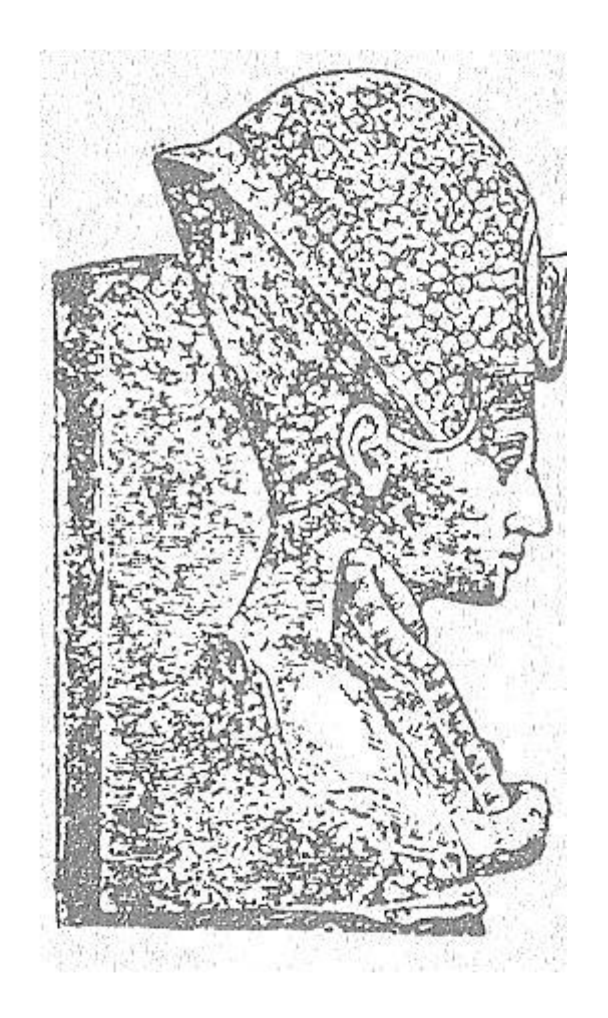
٢- هجم الجيش المصري على شكل نصف دائرة على مجدو، ولم يلبث المدافعون أن ولوا الأدبار، لأنهم لم يكونوا يتوقعون الهجوم من هذه الناحية.

٣- كان النصر يتم في يسر، لولا أن الجنود المصرية شغلوا بنهب معسكر أعدائهم، وظل المصريون سبعة أشهر في حصار مجدو، حتى سلمت، وقدم جميع من كان فيها من القواد والزعماء ولاءهم وخضوعهم لتحتمس الثالث.



٢ـ واقعة قادش:

كانت الإمبراطورية المصرية، حين اعتلى رمسيس الثاني العرش قد ضعفت لعدم رعاية إخناتون ملك مصر لمصالح البلاد والتفاته إلى الشئون الدينية، فانفصل أمراء الشام عند مصر، واستولى ملك الحيثين– وهو أحد الملوك المجاورين– على معظم الشام. فلما صار رمسيس ملكا حارب الحيثين وذلك بأن:



١- أغار رمسيس بجيوشه على سوريا، فأوهمه الحيثيون أنهم تقهقروا إلى القرب من حلب (شمالا) فتقدم نحو قادش، فانقضوا عليه، وتجلت شجاعة رمسيس، حين خاطر بحياته وشوق لنفسه طريقا وسط صفوفهم، وهزمهم في قادش، واقترن اسم رمسيس الثاني بهذا الانتصار العظيم، رغم أنه كبده خسائر فادحة، وعند رجوع رمسيس إلى مصر نقش أخبار انتصاراته على جدران المعابد، ومدحه الشعراء في قصائد رائعة.

٢- ورغم ذلك الانتصار الباهر، تكررت الحروب بين رمسيس والحيثين، حتى سئمت الأمتان الحرب، وعقدتا معاهدة أنهت الحرب بينهما، وهي تعد أقدم معاهدة دونها التاريخ. وتزوج رمسيس من كبرى بنات ملك الحيثين وأحضرها أبوها إلى مصر معززة مكرمة بين أهل البلاد.

ويعد رمسيس الثاني آخر الفاتحين العظام في تاريخ مصر القديم.

٣ـ الحالة الاقتصادية

الصناعة: راجت الصناعة في مصر في عصر الإمبراطورية. فقد صنع المصري القديم من الحجر أوان وصحاف وجرار، يدل على إتقانها ما عثر عليه في قبر توت عنخ آمون من ملوك الأسرة ١٨ من النفائس، فقد وجد في قبره: العرش الملكي من الخشب المذهب والتابوت المثلث من الذهب الخالص وعجلات حربية مذهبة وكؤوس وصناديق ومساند وخواتم وأساور ذهبية، ويدل إتقانها على مهارة الصانع المصري القديم.

بعثة حتشبسوت:

١- في السنة التاسعة من حكم حتشبسوت، ملكة مصر في الأسرة ١٨، أرسلت مصر أسطولها الذي أنشأته حتشبسوت، في بعثة تجارية إلى بلاد بنت محملا بالأسلحة والعقود والأساور والخواتم والخرز، فاستقبل أهل البلاد، هذه البعثة بالحفاوة والترحيب، وأكرموا رجالها، وانهالت الهدايا على أعضائها وعادت السفن محملة بكنوز بلاد بنت من الأخشاب

والبخور والمر والأبنوس والعاد والذهب، وشهدت مدينة طيبة يوما حافلا، حين كانت النفائس تحمل إلى القصر الملكي في موكب رائع، وقد سرت الملكة بنتائج هذه البعثة.

٢- نتج عن رحلات الأسطول المصري في عهد حتشبسوت:

(أ) اتساع نطاق تجارة مصر الخارجية: فصدرت ما زادت عن حاجتها من الأقمشة والفخار والذهب، واستوردت من الخارج ما احتاجت إليه من المنسوجات والزيوت والفضة والنحاس والأواني الخزفية وآلات الموسيقى والجلود.

(ب) توسيع خيال الفنان المصري، فقد صور غرائب الرحلات وعجائبها، وعمل الرسوم التي تبين نواحي الحياة في البلدان الأخرى.

(ج) نقشت أخبار الرحلات على جدران المعابد، فقد أمرت حتشبسوت بنقش أخبار الرحلة إلى بلاد بنت على جدران معبد الدير البحري.



رواج التجارة: ١- اتسع نطاق التجارة في عهد أمنحتب الثالث من ملوك الأسرة ١٨: فاستوردت مصر الأخشاب النفيسة والعطرية والتوابل من الشام وبلاد الشرق والآلات الحربية والأواني المزخرفة من فينقيا. واتخذت السفن الفينقية في البحر الأبيض واسطة في نقل البضائع بين مصر وقبرص وجزء بحر إيجة.

٢- يمتاز عصر نخاو بن بسماتيك من ملوك الأسرة ٢٦ بالرغبة في رواج التجارة المصرية، مما دفع نخاو إلى التفكير في توصيل النيل بالبحر الأحمر، وشرع فعلا في حفر القناة في ذلك الجزء من سهل مصر القريب من بلاد العرب. واستخدم –حسب رواية هيرودوت– عددا كبيراً من الفلاحين، هلك منهم آلاف عديدة، نتيجة خطأ هندسي أدى إلى غرق هذه الآلاف بالفيضان، على أن نخاو أوقف العمل فجأة، إما لأنه صدق

الكهنة الذين تنبأوا بأن نتيجة حفر القناة ستكون لتسهيل غزو مصر وقوعها تحت سيطرة الشعوب الأجنبية أو لأنه أخذ برأي المهندسين الذين قالوا بأن مستوى مياه البحر الأحمر مرتفع عن سطح الدلتا.

٤ـ الفنون

طيبة وآثارها: كانت طيبة في مكان مدينة الأقصر الحالية، واتخذت عاصمة لمصر في العصر القديم، حتى اغتصب الهكسوس مصر وجعلوا عاصمتهم أفاريس، وعادت طيبة عاصمة لمصر من جديد بعد طرد الهكسوس طوال عصر الإمبراطورية وما بعده (عدا فترة حكم إخناتون) وصارت من أهم المدن المصرية، واشتهرت بآثارها العديدة حتى لتعد من أغنى مناطق الآثار المصرية على الإطلاق.

ويقسم النيل مدينة طيبة قسمين:

١– طيبة الشرقية: وفيها عاش الأمراء والقواد والحكام والأشراف وبنوا القصور الفخمة ذات الآثار الفاخر، وشيدوا المعابد يخلدون بها ذكراهم، وعرفت باسم مدينة الأحياء.

٢– طيبة الغربية: وقد خصصت لقبور موتاهم وما يتصل بها من المعابد والهياكل، ولهذا سميت مدينة الأموات.

المقابر:

ويشق طيبة الغربية واد به مقابر كثير من الملوك يعرف باسم وادي الملوك. وهو عبارة عن عدة قبور تحوي حجرات كثيرة، ونحتت قبور غير الملوك في الصخور على مقربة من وادي الملوك وهي صغيرة الحجم، وكان الباعث على عدم بناء مقابر وادي الملوك على الشكل الهرمي المألوف، أن المقبرة يجب أن تكون في مكان آمن لا يعرفه اللصوص، إذ أن الهرم يدي دلالة واضحة على مكان دفن الملك.

واستمرت فكرة إقامة الهرم موجودة في عصر الإمبراطورية، ولكنها كانت عبارة عن أهرام صغيرة من اللبن.

النحت والتصوير والنقش:

١- صور الفنانون كل ما في الحياة اليومية من الرياش واللباس وألوان الأطعمة والأشربة والأعمال المتعلقة بالفنون والصناعات كالتحنيط وصناعة المعادن والحلى الخشبية والأواني الفخارية ومناظر الزراعة وصيد الحيوانات.

٢- بالغ الفنانون في تصوير الحقيقة، حتى بدت رسوماتهم كالأشكال المضحكة.

٣- صوروا فرعون في المواسم والحفلات وفي معارك الحرب.

٤- وجدت نقوش تاريخية على جدران المعابد الخارجية، وهي تمثل أخبار بعثات الملوك وحروبهم وانتصاراتهم والغنائم التي حصلوا عليها.

٥- وجدت نقوش دينية على جدران المعابد الداخلية، تمثل الاحتفالات الملكية والطقوس الدينية.

٦- حليت جدران القصور -كالمعابد- بالنقوش الجميلة.

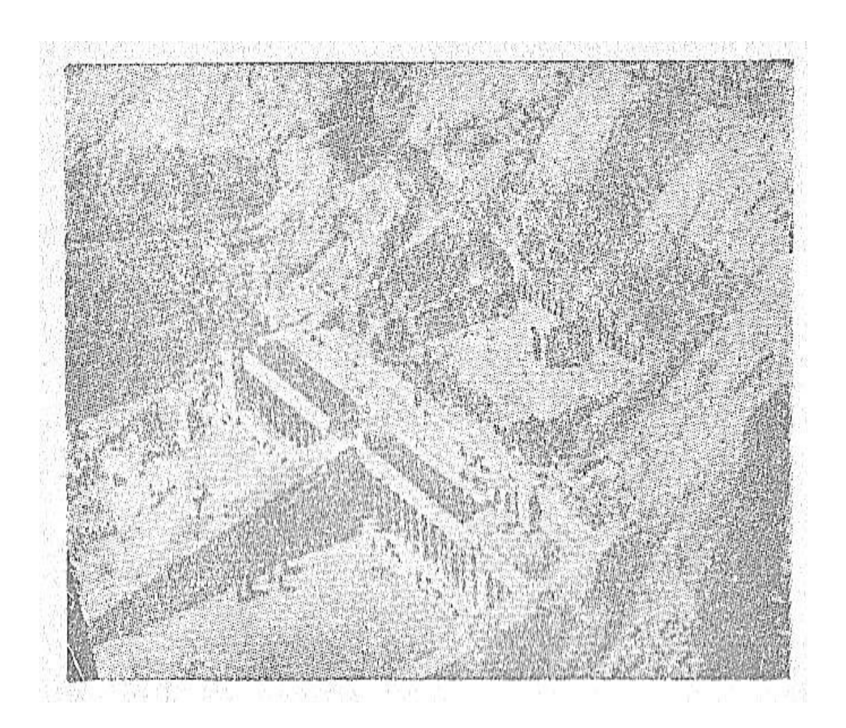
٧- تأثر الفن بعوامل خارجية، وتميز الفن بالدقة كما تجلى في روائع العمارة في عصر الإمبراطورية: من معابد وتماثيل، ومسلات:

(أ) **المعابد**:

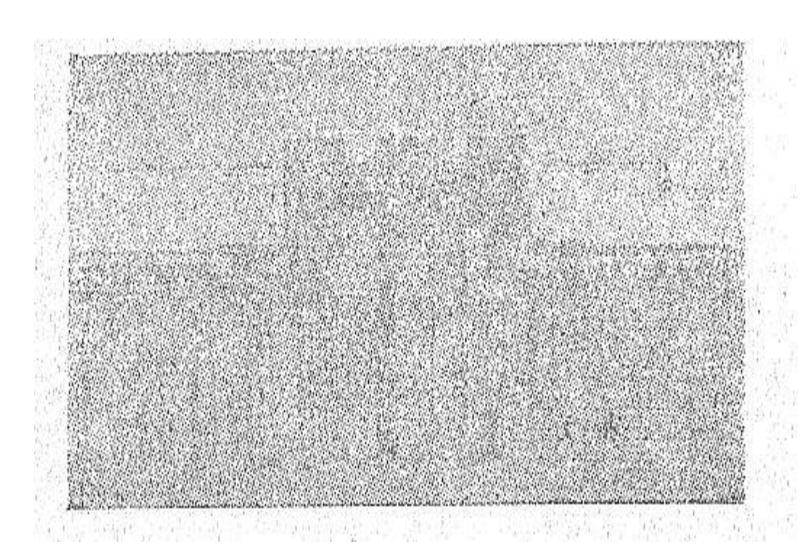
وأقيم في عصر الإمبراطورية، عدة معابد، تشهد لمنشئيها بالعظمة، كما تدل على نهضة العمارة في ذلك العصر:

١- معبد الدير البحري: شيدته الملكة حتشبسوت من الأسرة ١٨، في سفح جبال طيبة الغربية، على أربع درجات، ويحرس مدخله تماثيل على هيئة الكباش، وأمام المعبد أقيمت مسلتان، وسجلت الملكة أخبار الرحلة التجارية إلى بلاد بنت على جدران هذا المعبد.

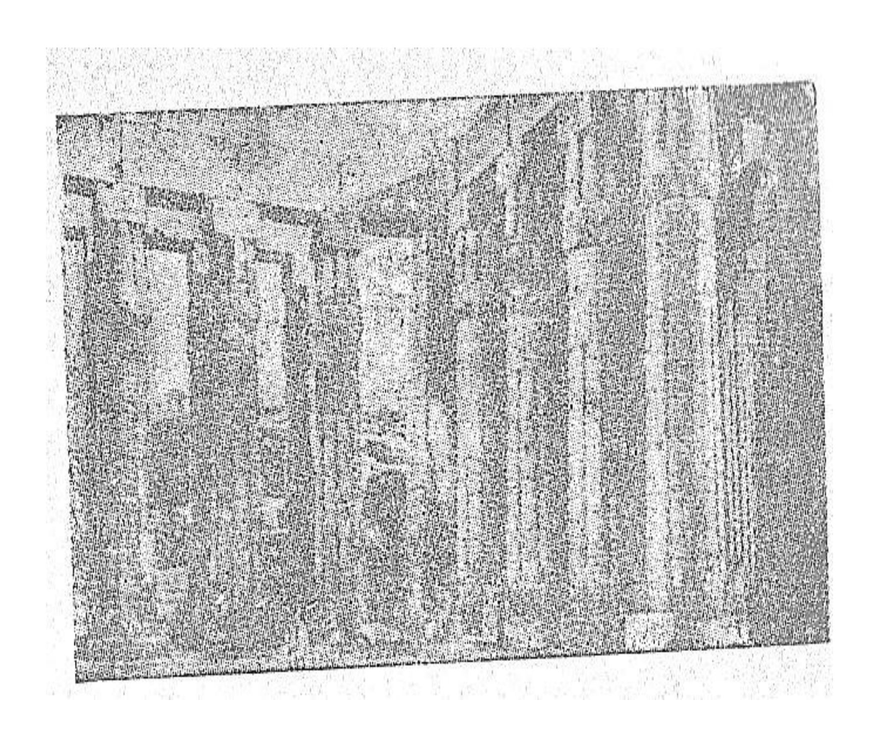
٢- معبد الكرنك: هو أعظم المعابد المصرية، وقد بناه الملك تحتمس الأول من الأسرة ١٨ على الضفة الشرقية للنيل، وانتهى بناؤه أيام الملك أمنحتب الثالث، وكان هذا المعبد مركز عبادة الإله آمون.



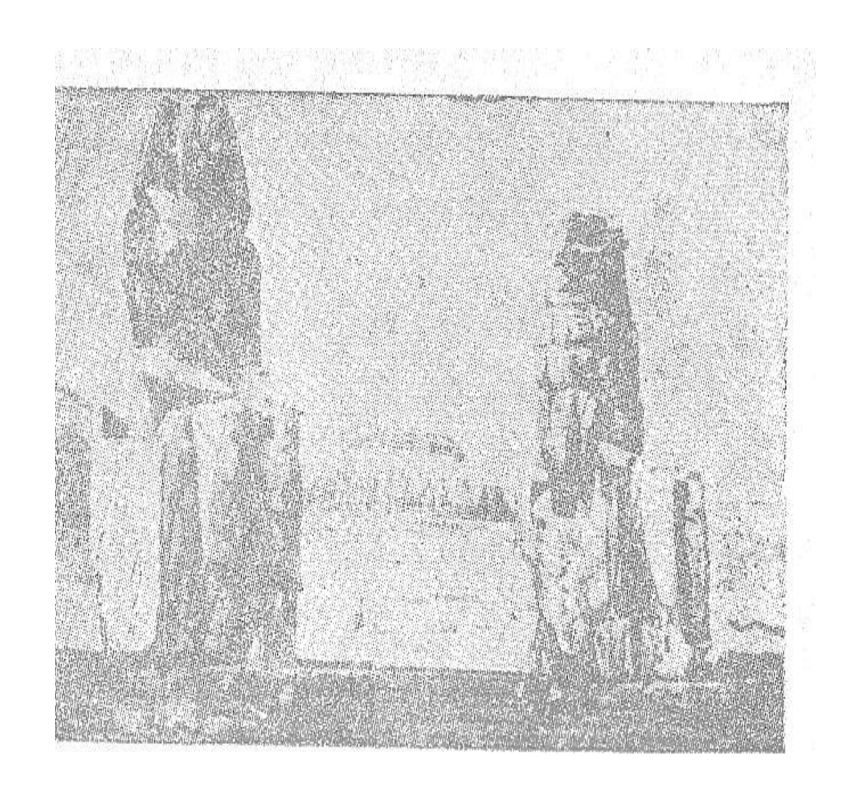
٣- معبد الأقصر: بناه الملك أمنحتب الثالث من الأسرة ١٨، للإله آمون، إلى الجنوب من معبد الكرنك، ويشتهر هذا المعبد بصفة خاصة بهو الأعمدة، ذي الأربعة عشر عمودا، وقد أوصله الملك بمعبد الكرنك بطريق صفت على جانبيه تماثيل أبي الهول، جسم كل منها شبيه بجسم الأسد ورأسه أشبه برأس الكبش، فأطلق عليه طريق الكباش، وكانت تسير فيه المواكب الدينية والاحتفالات.



٤- معبد الرمسيوم: بناه في طيبة الملك رمسيس الثاني، من الأسرة ١٩، وسجل على جدرانه أخبار حروبه مع الحيثين وانتصاراته عليهم، نظماً ونثرا.



٥- معبد مدينة هابو: أقامه الملك رمسيس الثالث، من الأسرة ٢٠، في البر الغربي لمدينة طيبة، وزين جدرانه بأخبار انتصاراته على شعوب البحر الأبيض المتوسط.



٦- معبد سيتي الأول: أقامه الملك سيتي الأول، من الأسرة ٢٠، في العرابة المدفونة.

وقد بقى من هذه المعابد الكبيرة قائماً إلى اليوم، معبد الكرنك، ومعبد الأقصر، ومعبد سيتي الأول.

(ب) التماثيل:

١- تمثالاًممنون: وبنى أمنحتب الثالث معبداً له في الجهة الغربية من طيبة، وأقام أمامه تمثالين، يزيد ارتفاع كل منهما على ٢٠ مترا، وقد اندثر المعبد، ولم يبق سوى التمثالين، وقد عرفا باسم تمثالي ممنون.



٣- تمثال نفرتيتي: ويعد الرأس الذي صنعه الفنان لنفرتيتي زوجة إخناتون من حجر الجير من أبدع ما أخرجه فنان، حتى عد قطعة فنية رائعة، وضرب بصاحبته المثل في الملاحة والجمال.

٣- تمثال تحتمس الثالث: وفيه ظهرت قوة شباب الملك وجمال منظره ومتانة بنيته وعظمته.

٤- تمثال أمينوفيس بن جابو:

وتجلت فيه عمق تفكير هذا الفيلسوف الحكيم وهدوئه ووقاره.

(ج) المسلات:

في عصر الإمبراطورية، أصبحت المسلات تقاوم بقصد تجميل المعابد ونقش أخبار الرحلات والانتصارات عليها، وكانت أجمل المسلات التي أقيمت في ذلك: مسلتنا حتشبسوت، فقد غطيت جدرانهما بالذهب.

وأرسلت الملكة من أجل ذلك بعثة إلى محاجر الجرانيت عند الشلال الأول، لقطع حجرين كبيرين، وجمع مهندسها المشهور سنموت عدداً وفيراً من العمال، حتى تمكن من قطع هذين الحجرين، وشحنهما في سفن نيلية إلى طيبة، وأقامتهما الملكة في صالة الأعمدة في معبد الدير البحري، وشيدت حتشبسوت أربع مسلات أخرى، أصابها التلف.

وأشهر المسلات المصرية إذ ذاك، المسلات التي أقامها رمسيس الثاني، منها عشر في تنيس واثنتان أمام مدخل معبد الأقصر.

أمنحتب الثالث: من أشهر ملوك مصر في عهد الإمبراطورية، الذين بلغت مصر في عهدهم، درجة كبيرة من التقدم، الملك أمنحتب الثالث، من ملوك الأسرة ١٨:

١- تمتعت مصر في عصر هذا الملك بمركز عظيم بين الشعوب وخطب ودها الملوك، يدل على ذلك رسائل العمارنة التي عرفت بهذا الاسم بعد أن عثر عليها في تل العمارنة قرب مدينة ملوى بمديرية أسيوط، وبلغ عددها ٣٠٠ رسالة، وهي عبارة عن قوالب من الطين منقوش عليها بالخط المسماري صورة الرسائل المتبادلة بين أمنحتب الثالث وبين الملوك الأسيويين، وتدل الرسائل على المركز العظيم الذي تمتعت به مصر بين الدول الشرقية.

٢- ارتقى في عهده فن البناء والنقش والتصوير، فاتسعت مدينة طيبة وزيد عدد معابدها: فبنى معبدا للآلهة موت إلى جوار معبد الأقصر، وأوصله بمعبد الكرنك بطريق الكباش، وأقام تمثالا ممنون.

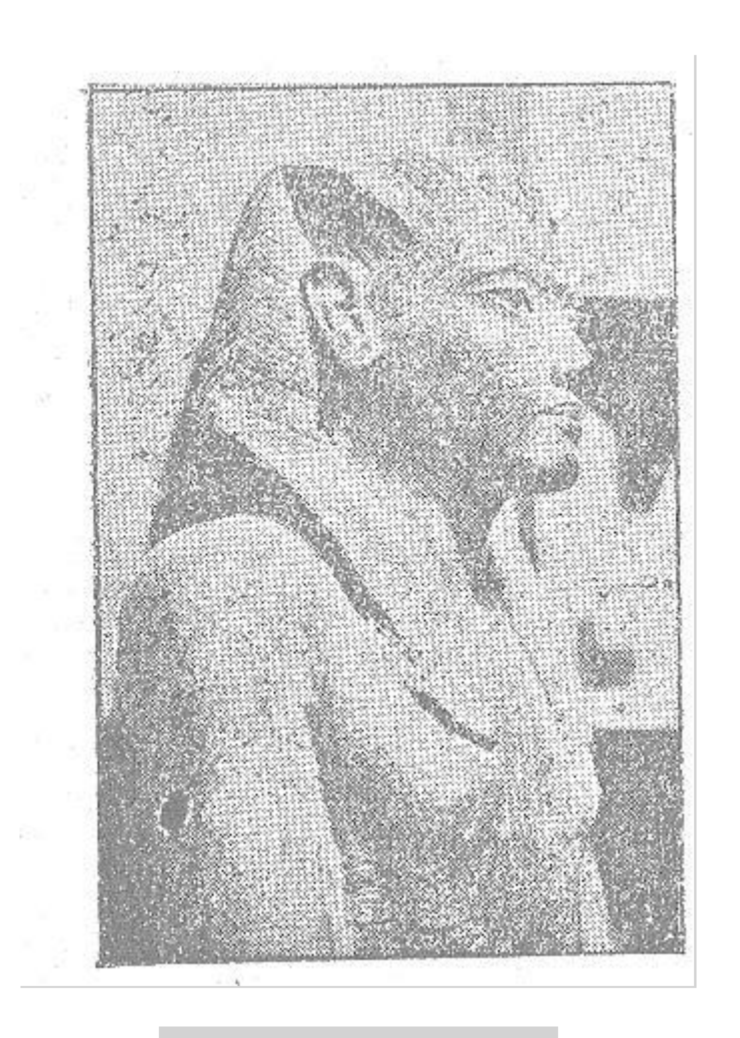
٥ـ الديانة

ثورة أمنحتب الرابع (إخناتون) الدينية

بانتقال عاصمة مصر إلى مدينة طيبة، منذ الأسرة ١٨ في عهد الإمبراطورية المصرية، قلت أهمية رع إله الشمس في هليوبوليس واضمحل شأن كهنته، وأصبح الإله آمون معبود كهنة طيبة إلها رسميا.



الإله آتون: ظل المصريون يعبدون الإله آمون، حتى تولى العرش أمنحتب الرابع (**١٣٧٥- ١٣٥٨** ق.م) أو إخناتون على ما سمى فيما بعد، فرأى أنه على الرغم من زيادة نفوذ الإله آمون، فقد كان هناك معبودات محلية متعددة، وعمد إلى إرغام الناس على عبادة إله واحد سماه آتون، ويمثل على شكل قرص الشمس محفوفا بأشعة ممتدة إلى أسفل ومنتهية بأيد قابضة على رموز الحياة التي نقيضها نور الشمس.

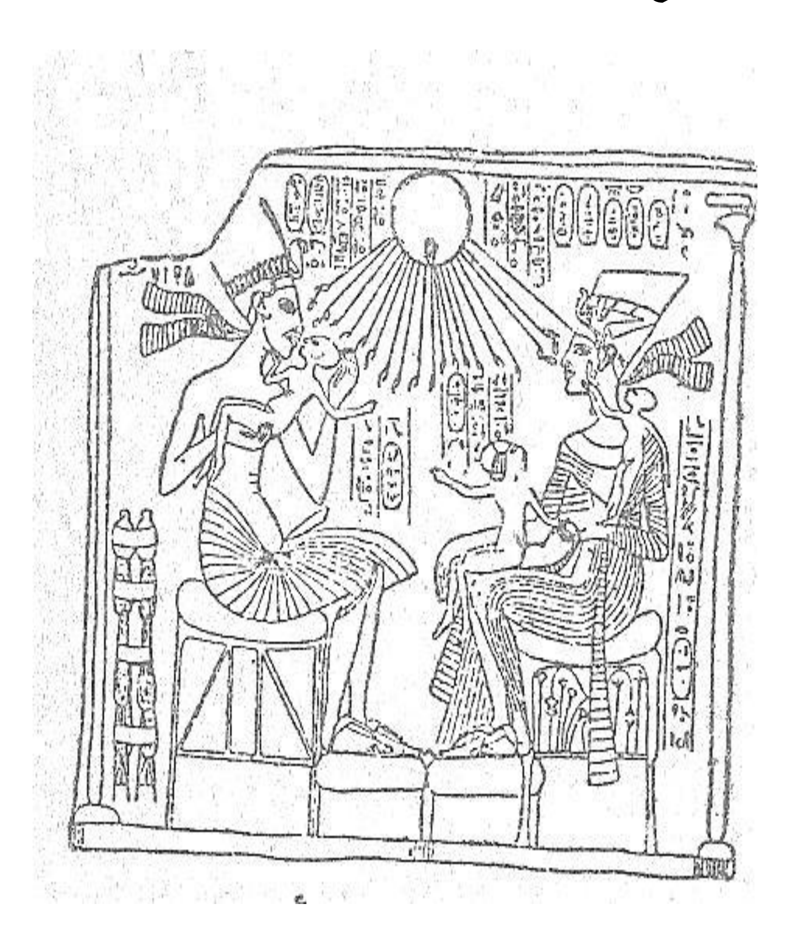


خطوات إخناتون لنشر عبادة آتون:

١- حجر للإله آمون من وقف، ونكل بكهنته، وأزال اسم آمون أينما وجد في معابد طيبة.

٢- اضطر إلى إزالة اسم أبيه من المعابد الموجودة في طيبة حتى لا تظل كلمة «آمون» على جدرانها.

٣- اتخذ لنفسه لقب «إخناتون» ومعناها: روح آتون، بدلا من أمنحتب الرابع.



٤- نقل العاصمة من طيبة مركز عبادة آمون، واتخذ أخيناتون» عاصمة له، وهي المعروفة الآن بتل العمارنة بمديرية أسيوط، وشيد بها المعابد المكشوفة للإله آتون ودواوين الحكومة وقصر الملك وقصر ابنته وقصور الأشراف ورجال الدين ومنازل بنيت باللبن لأرباب الحرف من

التجار والصناع، وبكل منزل فناء داخلي زخرفت أعمدته بالنقوش الجميلة.

الاستياء من الدين الجديد– استاءت منه الطوائف الآتية:

١– رجال الجيش: لانصراف إخناتون عن الدفاع عن الإمبراطورية واشتغاله بالمسائل الفلسفية والأمور الدينية.

٢– كهنة طيبة: لقضائه على نفوذهم.

٣– الشعب المصري: لانصراف إخناتون عن العناية بشئون البلاد إلى الدعاية للديانة الجديدة، وسادت الفوضى في الولايات التابعة لمصر فخلعوا حكامها المصريين وأعلنوا عصيانهم للحكم المصري، فأقفرت الخزانة المصرية التي كانت عامرة بأموال الجزية التي ترسل لمصر من الأقطار التابعة لها، وتلا ذلك وقف العمل في مناجم الذهب وانتشار الفوضى في جميع فروع الأداة الحكومية.

ولم يكد إخناتون يتم الثلاثين من عمره حتى توفى عام ١٣٦٢ ق.م محطم القلب بعد أن أدرك عجزه عن أن يكون ملكا محبوبا من شعبه.

وبعد موت إخناتون وتوليه توت عنخ أمون زوج ابنة إخناتون عرض مصر، هجرت العاصمة إخيتاتون وأقام الملك الجديد في طيبة وفتحت معابد آمون، وفي عهد الملك حر محب آخر ملوك الأسرة ١٨، أصبح «آمون» إلهاً رسمياً كما كان من قبل واسترد كهنته نفوذهم ونقش اسمه في

الأماكن التي أزاله منها إخناتون، وظل نفوذ كهنة آمون في ازدياد حتى وصل حرحور كبير كهنة آمون إلى العرش في نهاية الأسرة العشرين.

أثر ثورة إخناتون في الفن:

١- طلب إخناتون إلى الفنانين أن يصوروا الأشياء والأشخاص كما يرونها مجردة من المبالغة، فاتبعوا الواقعية في الفن، حتى ظهر إخناتون في الصور في صورة شاب ذي وجه رقيق نحيف ورأس مستطيل مسرف في الطول.

٣-نهض الفن بعد أن تحرر من أغلال الكهنة والتقاليد، فلم يفرض إخناتون على الفن قيودا بل كل ما فعله أنه حرم على الفنانين أن يرسموا صوراً لآتون، لأن الإله الحق لا صورة له.

٣- خرج إخناتون عن المألوف فسمح للمصورين أن يرسموه هو وزوجته وأولاده وقد حمل بعضهم على كتفه.

٤- صور الفنانون كل الكائنات الحية: نباتية كانت أو حيوانية، في تفصيل ينم عن دقة لا تسمو عليها دقة في أي مكان أو زمان، وكان من أثر ذلك أن ازدهر الفن المصري أعظم ازدهار.

٦ـ الأدب

(أ) الأدب الديني: أثر ثورة إخناتون على الأدب:

١– نشيد إخناتون في صلاة الشمس: أثرت ثورة إخناتون الدينية على الأدب، أيما تأثير، فقد ألف إخناتون الأناشيد الدينية التي ترنم بها الناس وأصبحت أغاني شعبية، وتعتبر أناشيد إخناتون أرقى أنواع الأدب في العالم وصل إلينا حتى الآن، وها هي مقتطفات من هذا النشيد.

«أنت آتون في قلبي، وما يعرفك ويعرف كهنك (سرك) غير ابنك إخناتون، الدنيا في يدك، ميزت شعوبها باختلاف ألسنتهم وألوانهم وأشكالهم، ثم فجرت النيل لمصر من باطن الأرض، ثم رفعت السماء على الأرض لترسل منها ضياءك. أنت الأبد بروحك يعيش الإنسان وفي جمالك يتعشق، أنت الذي خلقت الدنيا وأقمت فيها كل شيء، كي يحكمها ابنك صاحب الأرضين الذي خلق من أعضائك، والملكة زوجته نفرتيتي مولاة القطرين في حياة وعز دائم».

أ– كتاب الموتى:

هو اسم يطلق على مجموعة عبارات، نسخت من أوائل الأسرة ١٨، بالخط الهيروغليفي، على ملفات من ورق البردي، وضعت في داخل التابوب أو في إحدى نواحي الحجرة الموجودة بها المومياء، وهذه الملفات هي ما يعرف بكتاب الموتى، وكان يقصد من هذه العبارات تقوية الميت

بالتعاويذ والصلوات والأحجبة، حتى يتغلب على المخاطر الموضوعة في طريقه إلى الحياة الأخرى.

(ب) أدب الملاحم- ملحمة قادش:

لما عاد رمسيس الثاني من ملوك الأسرة ١٩ إلى مصر منتصراً على الحيثيين في واقعة قادش، تنافس الشعراء في الإشادة بانتصاراته، في قصيدة توضح مدى المحنة التي تعرض لها رمسيس الثاني في تلك الحرب، حين كان على وشك الانهزام، فناجى ربه (آمون) معاتبا:

«ما معنى هذا يا أبي آمون؟ أهناك والد يترك ولده في ساعة العسر؟ تراني أقدمت على شيء من وراء علمك؟ لقد كان زحفي وتوفيقي بوحي من إرادتك وبناء على أمرك، تعالت قدرتك وجل شأنك».

(ج) الأدب القصصي: قصة وينامون:

يرجع إلى الأسرة العشرين، في عهد ضعف الدولة الحديثة، قصة وينامون الذي بعثه حرحور رئيس كهنة آمون لجلب خشب الأرز من مدينة ببلوص في فينيقيا، فقد سرق منه وهو في إحدى بلاد الشام ما معه من أموال، ولم يتمكن من الحصول على الخشب المطلوب لأن حاكم ببلوص لم يسلمه الخشب إلا بعد أن يدفع الثمن، وفي عودته، سلبت بعض السفن ما معه، وهبت عليه ريحا عاصفة أضلته، وألقت به جزيرة قبرص، وهناك قبض عليه سكانها ونجا بأعجوبة.

استمرار الحضارة المصرية :

ثبت تاريخيا أن مصر هي مهد المدنية الإنسانية والمكان الذي أشرفت منه شمس تلك المدينة، فأضاءت بأشعتها الرائعة جميع أصقاع العالم، وعاش في مصر عناصر عريقة جاهدت وناضلت للتغلب على قوى الطبيعة أولا ثم إخضاعها لسلطانها ثانيا، وبهذا استطاعت أن تخترع مدنية هي أعرق المدنيات وأقدمها.

وقد قام أهل مصر بمجهود كبير في سبيل تكوين المدنية الإنسانية ونشرها، ولهذا السبب عرفها المؤرخون بأنها «مهد المدنية»، ولقبوا أهلها بأنهم «قادة الأمم» فالمصريون في الحقيقة هم أول من وضعوا أنظمة وحكومات وأول من أعتقوا مبادئ روحانية بالمعنى الحديث.

وعلى الرغم من توالي الدول على حكم مصر، فإن واحدة من هذه الدول لم تستطع التأثير في الحضارة المصرية وصبغها بالصبغة الأجنبية، وذلك للأسباب الآتية:

١- قدم الحضارة المصرية، وتغلغلها في نفوس الشعب وانتشارها خارج مصر كذلك.

٢- احترام الدول المستعمرة لمصر، لمظاهر الحضارة المصرية، فكانوا أنفسهم يحاولون التشبه بالمصريين تقربا منهم.

٣- اعتبرت الحضارة المصرية في أنظار الدول، أقصى ما تصبو إليه النفس من تقدم ورقي، ولذا لم يحاولوا الحد من نشاطها، بل على العكس من ذلك، عملوا على استمرارها.

القسم الثاني

حضارات الشهر القديم

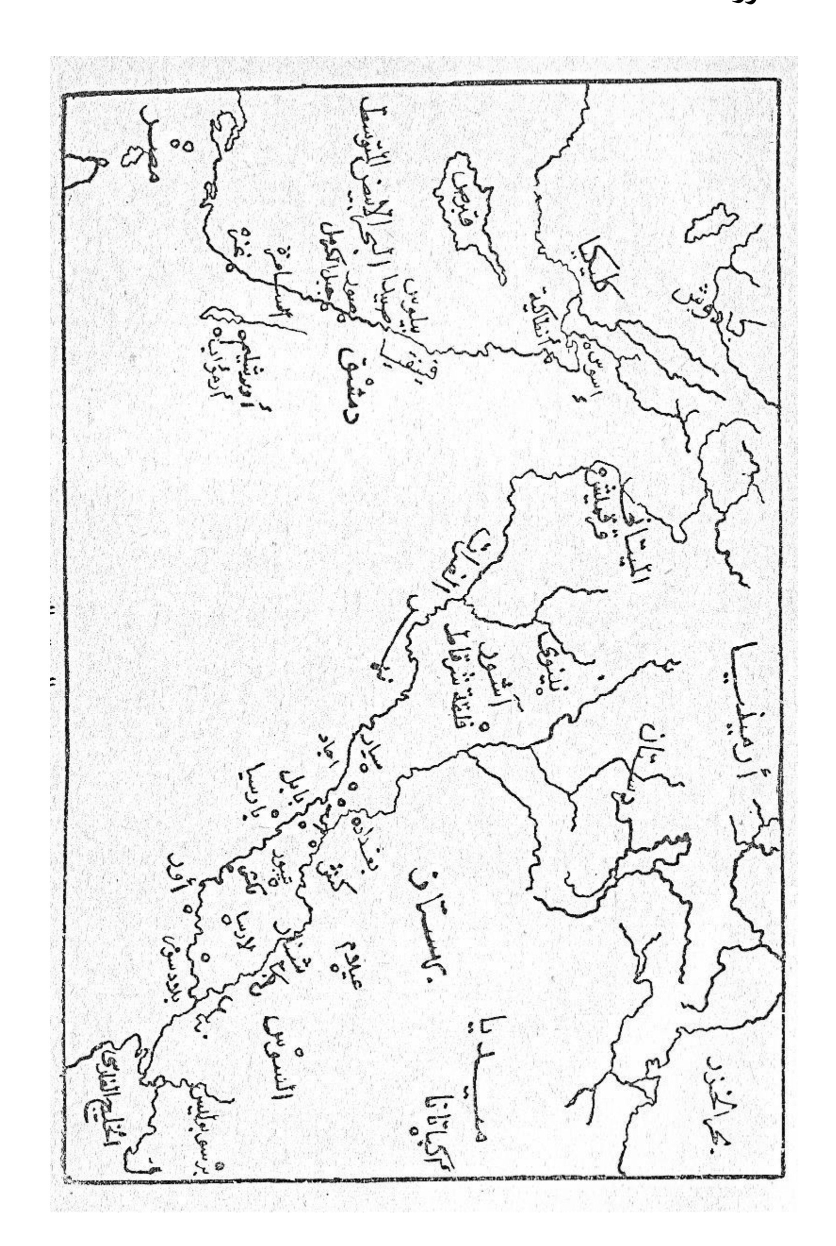
يقصد بحضارات الشرق القديم، تلك الحضارات التي قامت في الدول التي تقع في نطاق ما يعرف باسم الهلال الخصيب.

موقعه:

هو الأراضي التي تقع في شمال مصب الخليج الفارسي، ويحوي نهر دجلة حتى منبعه ثم ينحدر ليشمل نهر الفرات وسوريا وفلسطين حتى سيناء، ويدخل في هذا النطاق وادي النيل، وقد أقامت في بلدان تلك المنطقة حضارات عظيمة، ونشأت إمبراطوريات كبيرة تتمثل في حضارة مصر وحضارة سومر في حوض الدجلة والفرات الأدنى وحضارات الآشوريين والكلدانيين والعراقيين والآراميين والفينقيين والفارسيين.

وقد كانت مصر هي الأمة الأولى بين أمم الشرق القديم، التي نعمت منذ أول تاريخها باتحاد كامل بين جميع أجزائها، بينما امتازت طبيعة سوريا وبلاد ما بين النهرين بسهول واسعة ممتدة دون أن ترتبط ببعضها بارتباط وثيق بمجرى نهر واحد مثل النيل. فقد حصر نهرا دجلة والفرات بينهما سهولا واسعة، بحيث لم تستطع الجماعات المتفرقة التي كانت تسكن هذه السهول أن تتجمع حول هدف واحد، ولذلك ظهر في بلاد سوريا والعراق القديمة ما يعرف باسم المدن الحرة، وهي عبارة عن مدينة كبيرة، يتوسطها معبد الإله، ولكل منها حكومة مستقلة، على رأسها حاكم، يعمل على أن

يزيد من مساحتها ومن مساحة الأراضي المنزرعة التي تحيط بمدينته فتزداد بذلك ثروته.



لذلك لم تعرف بلاد ما بين النهرين الملكية الموحدة إلا في عصور متأخرة نسبيا، ولذا اختلفت الحضارات باختلاف بيئة كل منها، وأصبحت لكل شعب من شعوب الشرق القديم حضارة يتميز بها.

تعرض الهلال الخصيب للغزو الخارجي:

وقد تعرض الهلال الخصيب لعدة غزوات، كان من أهم أسبابها:

١- وفرة الثروة في هذه المناطق، مما أغرى القبائل الصحراوية الفقيرة بالهجوم عليها.

٢- عدم ارتباط هذه الدول برباط الوحدة، فكانت تنقسم إلى دويلات يتنازع أمراؤها فيما بينهم على المجد والسلطان.

٣- هجرة القبائل والشعوب من شمال آسيا ومنطقة جبال أورال، بسبب جفاف المناخ وزيادة الرطوبة، فكان الطريق الطبيعي للهجرات هو ناحية الجنوب.

٤- هاجرت الشعوب السامية من شبه جزيرة العرب واستقرت جنوب حوض دجلة والفرات، وأقاموا هناك حضارة الآشوريين والكلدانين والآراميين.

٥- هاجرت شعوب هندو أوروبية (آرية) وكانوا يسكنون بلاد الأفغان ومنطقة السند واستقروا شمال بلاد ما بين النهرين، وأسسوا هناك حضارة السومريين.

٦- أصبحت حضارة الشرق فيما بعد صراعاً دائماً بين الشعوب السامية والشعوب الآرية في الشمال.

أهمية موقع الهلال الخصيب:

كان لوجود السهول الواسعة ووجود المجاري المائية الصالحة ووقوع حضارات الشرق على شواطئ البحر المتوسط، أثره الكبير في اتصال هذه الجهات بحضارات الصين القديمة في شرق آسيا وبلاد اليونان وجزيرة كريت. وأصبحت مصر وبابل من مراكز التجارة العالمية في ذلك الوقت، وصارت هذه الدولة كقنطرة تعبر عليها ثقافة الشرق إلى الغرب.

الباب السابع

حضارة سومر

الهجرات إلى الهلال الخصيب:

استقرت قبائل وشعوب مختلفة في منطقة الهلال الخصيب، ومن أهم هذه الشعوب:

١- الساميون: وأصلهم من جزيرة العرب، وانحدروا بسبب الفقر وكثرة العدد إلى الشمال، فاستقروا في العراق وسوريا، ومنهم: البابليون، والآشوريين في وادي دجلة والفرات، والكنعانيون، والآراميون، والفينقيون في سوريا وفلسطين، واليمنيون والعرب في شبه جزيرة العرب.

٢- الحاميون: وهم يقطنون إفريقية، وأسسوا حضارة الفراعنة في مصر.

٣- الآريون: وانحدروا من حول بحر قزوين واستعمروا كل أوروبا والهند وفارس.

حضارة السومريين الأوائل:

كان الاعتقاد السائد أن الشعب سومر ينتمي إلى الجيش السامي، ولكن هذه النظرية أصبحت لا يعتد بها، بعد أن استقر الرأي على أن

السومريين ينتمون إلى شعوب كانت تسكن بلاد الأفغانستان ومنطقة السند، وكان من مظاهر حضارتهم الأولى:

١- كان السومريون يسكنون أكواخا عالية مبنية بالطوب اللبن.

٢- كانوا يتخذون ملابسهم من جلود الغنم ومن الصوف المغزول.

٣- تعلموا كيف يحافظون على مياه العيون بعمل جسور لها، وعرفوا توزيع المياه في قنوات الري، وعرفوا حصاد محاصيل الحبوب وزرعوا الشعير

والقمح وامتلكوا الماشية والضأن والماعز، وجعلوا إحدى آلهتهم على شكل بقرة واعتقدوا أنها تحمي قطعان حيواناتهم.

٤- استعملت الأساور والقلائد والخلاخيل والخواتم للزينة.

٥- عرفوا صناعة المعادن في وقت مبكر، وكان من بينهم صناع مهرة عرفوا كيف يطرقون النحاس وطريقة صبه، كما عرفوا صناعة البرونز الذي كان أكثر صلابة من النحاس، وصنعوا من النحاس أسلحة وآلات وأدوات للزينة وتماثيل للمعبودات، كما توصلوا إلى معرفة الذهب والفضة والرصاص.

٦- كتب شعراؤهم قصصا عن بداية الخلق وعن الجنة البدائية، وعن الطوفان المروع الذي غمر هذه الجنة وخربها عقابا لأهلها على ذنب ارتكبه

أحد ملوكهم، وقد تناقلت لأجيال قصة هذا الطوفان، الذي ربما كان هو الطوفان الذي ورد في الكتب السماوية.

٧- كانت القضايا تنظر في المعابد، وكان الكهان يهيمنون على القضايا والبيع والشراء، يعاونهم طائفة من الكتبة، وحاول الكهنة كتابة تاريخ للسومريين ووضع الملاحم التي تصور مدى حضارتهم، ومن أشهر هذه الملاحم ملحمة جلجميش وتموز.

٨- بدأ السومريون شهورهم مع كل قمر جديد، وأن السنة تتكون من ١٢ شهرها قمريا، يضاف إليها ما يقرب من الشهر، وكان السومريون لا يعدون السنين، بل يسمون كل سنة باسم حادث هام وقع خلالها.

التجارة السومرية:

ونشطت تجارة السومريين مع أمم آسيا الصغرى، ووردوا إلى تلك الأمم، الأدوات المصنوعة من المعدن والبضائع الصوفية وبعض الحاصلات الطبيعية كالبلح والحبوب.

وكانت تجارة بلاد الرافدين تصل إلى مصر، مما يدل على أنه كانت هناك صلة بين مصر وتلك البلاد، لأن كلا من الحضارتين كانت تخرج أشياء مصنوعة متماثلة الطراز وذات أشكال متشابهة في كل من الحضارتين المصرية والسومرية.

الكتابة السومرية:

وعمد السومريون في عصورهم الأولى إلى إثبات بعض البيانات بواسطة حفرها حفرا سطحيا بالجزء المدبب من نبات الغاب فوق سطح مستوى لقطعة من الطين اللبن، ثم وضع الطين في الشمس لجعله صبا، ثم في فرن الحرقة؛ وبذلك وجدت لوحات فخارية لم تتأثر بفعل الزمن.

وكان الكاتب السومري، إذا أراد أن يرسم خطاً، فإنه كان يرفع قلبه ثم يضغط على حافته فيغمسها في الطين، ثم يرفعه مرة ثانية، ويضع حافته مرة أخرى إلى جانب الأولى وهكذا، وكان هذا القلم يشبه المسمار، ولذا سميت الكتابة السومرية، الكتابة المسمارية.

الثقافة السومرية- في المعبد:

كان المعبد هو مركز الثقافة السومرية في المدن، تحيط به الأسوار، التي تقع أماكن العبادة داخلها، ويشرف عليها الكهنة ويعاونهم الكتبة في تأجير أملاك المعبد وفي إقراض الناس ومقاضاة الأرباح باسم الإله، وكان المعبد يحتوي على بهو يليه الهيكل، وكان الفلاحون يأتون إلى هذا الهيكل يحملون قرابينهم من الحبوب والبلح والتين واللبن والعسل والحيوانات ويضعونها فوق موائد القرابين. وفي خرائب المعابد، عثر على أدوات استعملت في العبادة، وعلى الأواني التي كانوا يضعون فيها السائل ليصبوها على القرابين، وكانت تقام في المعابد، الاحتفالات ذات المعنى

الخاص، ويتلى فيها الدعاء ليتوفر الماء والمحصول ويجنبهم الإله مصائب الفيضان.

قواعد الدفن السومرية:

تميزت قواعد الدفن عند السومريين عن غيرهم في أنه:

١- إذا ترك الملك، دفن معه عدد كبير من الحاشية، فقد وجدت في إحدى المقابر جثث الحاشية متكدسة بجانب جثة الملك وقد لبسوا خوذاتهم وحرابهم.

٢- وجد في بعض مقابر النساء ما يدل على أنهن كن يصحبن معهن المغنيات وهن حاملات الآلات الموسيقية.

٣- كانوا يدفنون الموتى في أسفل منازلهم، فلم يعرفوا الجبانات.

٤- آمنوا أن الميت في حاجة إلى أدواته ومعداته وخدمه، واختفت هذه الظاهرة في العصور التالية.

٥- اعتقدوا أن الحياة الأخرى عبارة عن مكان مظلم في أعماق الأرض، ينزل إليه الصالحون والطالحون.

لذلك بنى السومريون مقابرهم من الطوب اللبن والأحجار، وتذكرنا ما حوته مقابرهم من نفائس، ما عثر عليه في مقابر قدماء المصريين.

المساكن السومرية:

١- كان السومريون يسكنون في بيوت حول المعبد، مستطيلة الشكل، مبنية بالطوب اللبن، على قواعد عالية كالأعمدة، وذلك لكثرة المستنقعات في تلك المناطق، وكانت وسيلة الانتقال بين هذه البيوت أو الأكواخ، هي القوارب الخفيفة التي كانت تصنع من الخوص.

٢- كان البيت يحتوي على قائمة رئيسية، فيها أبواب توصل إلى الحجرات، ثم أصبح البيت يتوسط المساكن ويحتوي على فناء غير مسقوف، وزاد اتساع البيوت مع مرور الزمن.

٣- وكثيرًا ما تهدمت بعض البيوت السومرية بفعل المطر، وكان أصحابها يعبدون إلى تسوية الأنقاض وبناء مسكن جديد فوقها، واضطردت تلك القاعدة حتى ظهرت المدن السومرية بعد عدة قرون كوما عاليا من الأنقاض فوقها البلدة التي يسكنها الناس.

٤- اكتشفت بين تلك الأنقاض، اللوحات (أو الرقم) والمذكرات التي تسجل: حياة سكان المساكن المتهدمة، والأحداث الحكومية الهامة، والوثائق التي تدل على أسماء الحكام الذين شيدوا المعابد وخاضوا غمار الحروب، لأن هؤلاء سجلوا أخبارهم على لوحات في منازلهم، وبذلك أمكن كشف كثير من مظاهر الحضارة السومرية تحت تلك الأنقاض.

طبقات السكان السومريين:

١- الطبقة الوسطى تشمل:

(أ) التجار: وهم أصحاب القوافل أو القوافل التي تنقل البضائع من مكان إلى مكان.

(ب) الملاك الأحرار: وهم الذين يملكون الأراضي التي يعمل فيها أرقاؤهم.

٢- الطبقة الأرستقراطية: من الموظفين والكهنة.

النظام الحكومي:

١- كانت كل مدينة من المدن السومرية وما حولها من الحقول، تكون وحدة سياسية مستقلة أو ولاية يحكمها ملك.

٢- امتاز حكام المدن السومرية بالعمل المستمر لخير السكان، وتجلى ذلك في:

(أ) الحروب:

التي خاضوها بأنفسهم ضد الأعداء، على رأس جنودهم حاملين أسلحتهم، منظمين في كتائب ذات صفوف متراصة أو في مركبات ثقيلة ذات عجلات أربع.

(ب) القيام بالواجبات الدينية.

(ج) العناية بترقية الأحوال الاقتصادية من زراعية وري، منعاً لحدوث مجاعة في البلاد.

٣- تداخلت حدود الولايات السومرية في بعضها، مما أدى إلى وقوع احتكاكات عديدة بين حكام تلك الولايات، الذين كثيرًا ما سعى كل منهم إلى الاستيلاء على جزء من أراضي الولايات المجاورة، مما هدد أمن الولايات.

٤- ظهرت أسماء بعض الحكام، واشتهر من بين ملوك سومر: الملك مس –أني– بادا، وابنه الملك آن –أني– بادا الذي بنى معبدًا صغيرًا للآلهة البقرة في أحد ضواحي أور.

التقدم الصناعي:

تجلى تقدم السومريين الصناعي في:

١- صناعة التماثيل لمعبد الآلهة البقرة:

(أ) فقد وجدت أمام المعبد تماثيل ثيران قوية من النحاس، بينما وقف نسر هائل من البرونز له رأس أسد ناشرًا ذراعية فوق غزالين.

(ب) وزينت الحائط الأمامية للعبد بالزخارف التي تمثل الدعاة يجلبون البقر والعمال وهم يصنعون الزبد.

٢- صناعة حفر الأحجار، تجلت في:

(أ) نحت صور الأشخاص والحيوانات على قطع من المحار أو الحجر الجيري.

(ب) الختم على الطين اللبن، قام عند السومري مقام التوقيع باسمه.

غارات الساميين على سومر:

لم يستقر الأمر للسومريين في بلادهم إذا كانوا في صراع دائم مع الدويلات الأخرى، مما زعزع مركزهم السياسي والحربي، وفي عام ٢٨٠٠ق.م، تمكنت بعض القبائل السامية الوافدة من شبه جزيرة العرب من الاستيلاء على مدينة أوبيس، فكان هذا بمثابة إعلان ظهور الجنس السامي صاحب السيطرة على العراق، ويعد هذا بداية عهد تكوين دويلة على غرار النظام السومري، وانتقلت الزعامة من السومريين إلى الساميين الذين عرفوا في التاريخ باسم الأكاديميين نسبة إلى مدينة آكاد التي أنشأها سرجون ملكهم المشهور، وهو أول زعيم في تاريخ الجنس السامي، وأول حاكم أسس مملكة عظيمة في غرب آسيا.

دولة سرجون:

استقر الساميون حول مدينة لكش حوالي عام ٢٨٥٠ق.م على نهر الفرات، وما لبثت هذه المدينة أن طمعت في توسيع رفعتها على حساب السومريين وحققت ما كانت تصبو إليه على يد سرجون، الذي أعلن نفسه أميرا لمدينة لكش وأسس مدينة جديدة سماها أكاد.

فتوحات سرجون:

توسع سرجون في فتوحاته، حتى شيد أكبر إمبراطورية عرفتها بلاد ما بين النهرين: فقد توغل شرقي آسيا الصغرى، وامتدت مملكته من عيلام في الشرق إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وإلى أعالي نهري دجلة والفرات في الشمال والغرب.

حضارة الأكاديين:

لم يظل الأكاديون على مستوى الحضارة البدوية، بعد أن اتسعت دولتهم على هذا النحو واستقروا في الهلال الخصيب، فقد أدخلوا كثيرًا من أساليب الحضارة:

١- بنو مساكن من الطول اللبن، بعد أن اعتادوا الإقامة في الخيام، ولهذه المساكن نوافذ ذات قضبان من الفخار وأبواب ذات عقود.

٢– أقام الحاكم في بناء متسع، فيه بهوان، واتخذ الحاكم قسما خاصا لعائلته، يتكون من صالة كبيرة، وعدة حجرات للاستقبال والنوم والخدم.

٣– اقتبسوا عن السومريين الكتابة المسمارية والتقويم السومري والأوزان والمقاييس وطرق التجارة والخوذات السومرية لحماية أنفسهم زمن القتال، واعتادوا حمل القسى في الحرب، في حين كان السومريون يحملون الحراب والدروع.

٤– تقدم الفن الأكادي، حتى نافس الأكاديون من علموهم الفن من السومريون.

مملكة سومر واكد:

لم تستطيع أسرة سرجون أن تحكم طويلا، بعد مقتل زعيمها سرجون، فقد أنهكتها الحروب الداخلية، مما أدى إلى كثرة عدد الملوك وقصر مدة حكم كل منهم.

وفي وسط تلك الفوضى الأكدية، استطاعت مدينة أور أن تنهض، وحكم البلاد ملوك سومر وأكد معا نحو ثلاثة قرون، كان أولها عصر ازدهار تجلى فيما يلي:

١- استطاعت البلاد أن تتقدم في فتوحاتها: شمالا على طول نهر دجلة حتى شملت بلاد آشور التي بدأ ظهورها منذ ذلك الحين، وشرقاً إلى عيلام وغرباً على امتداد الفرات.

٢- ازدادت قيمة المعادن، وخاصة الفضة، وأصبحت وسيلة صالحة للتعامل ومعرفة قيمة الأشياء، واستخدمت حلقات من النحاس للمعاملات البسيطة، وحلقات من الذهب للمعاملات الكبيرة.

٣- نشطت التجارة واتسع نطاقها في غرب آسيا، وجعلوا تحرير المعاملات المالية أساسًا في الأعمال التجارية.

٤- ظهرت بينهم عدة عادات اجتماعية، أصبحت بمثابة قوانين تنظيم حياة الناس.

٥- عثر بين مخلفاتهم على مؤلفات في المعاملات الكتابية وكتب للحساب والأجرومية وأبحاث في الطب قائمة على أساس أن مصدر المرض هو الأرواح.

٦- لم يعتقدوا في أنهم يحيون بعد موتهم حياة سعيدة، لأن الخلود كان وقفا على الآلهة دون سواهم، وكتبت قصصهم التي أثبتوا فيها معتقداتهم باللغة السومرية.

عصر حمورابي:

وبعد نهاية القرن الأول من حكم اتحاد مملكة سومر وأكد، عاد التنافس بين الدويلات إلى شدته، واشتد الخلاف بين كل منها، واستمرت الفوضى هكذا، حتى ظهر الملك حمورابي السامي الذي أسس مملكة عظيمة مترامية الأطراف، عرفت في التاريخ باسم مملكة البحر (يقصد بها بابل)، وحكم مدة ٥٧ سنة، وما لبث حمورابي أن اهتم بمناطق الشمال وأخضعها، واتسعت حدود الدولة في عصره.

ويقترن اسم حمورابي بمجموعة خطاباته التي كان يمليها، وقوانينه التي نظمت أحوال البلاد ونشرت العدل.

خطابات حمورابي:

وهذه الخطابات تصور لنا حياة أحد الحكام الشرقيين في آسيا، هو حمورابي، حيث تظهره جالسا في قاعة الحكم في قصره في بابل، وإلى جواره كاتم سره، يملي عليه الملك الرسائل التي يريد أن يبعث بها إلى ولاته على المدن السومرية، في وضوح وإيجاز، ويستخدم كاتم السر قلما يكتب سطورًا من الكتابة المسمارية، ثم يرشها بحفنة من التراب الجاف، ويعرض عليه ما يبعثه الموظفون إليه من كافة أنحاء المملكة لاستطلاع رأيه فيملي رده عليها.

ومن أمثلة أوامره إلى الحكام في خطاباته:

١- تطهير مجرى الفرات بسبب فيضان النهر وما سببه في الإضرار.

٢- قص أصواف الأغنام في فصل الربيع، لاهتمامه بأمرها.

٣- عدم تأخير جمع الضرائب، بسب تقدم التقويم شهرا عن الموسم المعتاد.

٤- إنزال العقاب على ما يتهم بالرشوة.

٥- الفصل في تظلمات من يلجأ إليه من المتقاضين لتأخر وصول حقوقهم إليهم.

قوانين حمورابي:

يعتبر قانون حمورابي، الوحيد الذي وصل إلينا من نوعه من الحضارة الأكادية السومرية. وقد صاغ حمورابي قانونه بحيث يكفل تحقيق العدالة، وذلك في العام الحادي والأربعين من حكمه، وقد اعتمد حمورابي في صياغة قانونه على القوانين السائدة وعلى أحكام العرف والعادات، وظل قانون حمورابي محتفظًا بجوهره خمسة عشر قرنًا رغم ما طرأ على أحوال البلاد من تغيرات مختلفة؛ وكان هدفه من وضعه استبدال العقوبات الدينية بأخرى مدنية، تنص على استخدام القسوة وفرض الغرامات المالية، ومن أهم مواد قانون حمورابي:

١- يكون العقاب بطريق القصاص: النفس بالنفس، والعين بالعين: ومن أمثلة ذلك:

(أ) إذا انهار منزل على صاحبه، حكم بالموت على مهندسه أو بانية.

(ب) إذا تسبب عن سقوط المنزل موت ابن الشاري، حكم بالموت على ابن البائع.

(ج) إذا ضرب ابن أباه عوقب بقطع يده.

(د) إذا تسبب طبيب في وفاة مريض، حكم على الطبيب بقطع أصابعه

٢- نظم أمور الزواج، وأحل المرأة مكانا ممتازاً، حتى سمح لها بممارسة التجارة واحتراف الكتابة وتلقي العلم.

٣- حدد القانون إيمان السلع وأجور العمال.

٤- نظم قانون نظام الوراثة، بحيث ينال الأرامل واليتامى حقوقهم وألا يقع عليهم ظلم.

وقد عثر على نسخة من قانون حمورابي مطمورة في أطلال مدينة صوصة حوالي عام ١٩٠٢م، وقد سجلت على لوح حجري بالخط المسماري.

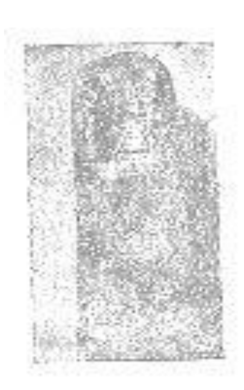
التماس أحوال البلاد العامة:

تلا إصلاحات حمورابي، مظاهر نشاط شملت أحوال البلاد:

١- انتعشت صناعة الملابس الصوفية لكثرة قطعان الأغنام والماشية وانتشرت صناعة الآلات والأسلحة من البرونز، وظهرت المراكز التجارية بين بلدان الفرات الأعلى، وازداد نفوذ حمورابي التجاري في غرب آسيا، وعظم شأن طبقة التجار حتى كانوا يسمون في بعض الجهات باسم الحكام.

٢- صارت المعابد هي مركز الحياة، وحوت طقوس العبادة بعض صلوات وأدعية، اعترافًا بوجود الخطيئة، والرغبة في أن يحصل من الآلهة على ما يريده ويتمناه، وظهر مردوخ إله البابليين مكان آلهة السومريين كما ظهرت عشتر إلهة الساميين كآلهة رئيسية عند البابليين، ووجد التنجيم وأطلق من يقوم به اسم المنجم، ويتنبأ بالغيب ويفسر العلامات الغربية، وعند وجود التنجيم أساسًا لعلم الفلك.

٣- بنيت المدارس في عهد الملك حمورابي، يتعلم فيها الصبية والبنات، ويكتب التلميذ على لوح من الطين اللبن، على أن يمحو ما كتبه إذا مرر عليه قطعة من الخشب أو الحجر، وكان التلميذ يبدأ تعلمه بأن يخط سطورًا طويلة من ضغطات مفردة، وتليها تعليمه كيف يكتب العلامات وتتكون كل منها من ضغطة واحدة، وفي النهاية يتعلم كتابة الكلمات، والجمل القصيرة وهي عبارة عن حكم وأمثال قديمة.



ووجد على الجزء العلوي من قانون حمورابي النقش المرسوم على حجر الديورانت، ويمثل حمورابي وهو يتلقى القوانين من إله الشمس.

سقوط الدولة:

وبعد موت حمورابي، بدأت الدولة في الانحلال، إذ أن قبائل الكلسين التي كانت تسكن الجبال الشرقية بدأت تغير على البلاد في العام الثاني لموت حمورابي، وأخذت تعيث فسادا وتسلب وتنهب ثم ترتد إلى موطنها، ولم يستطع خلفاء حمورابي، وأخذت تعيث فسادًا وتسلب وتنهب ثم ترتد إلى موطنها، ولم يستطع خلفاء حمورابي الدفاع عن حدود الدولة، وانتهى الأمر بأن هاجم بابل غزاة جاءوا من الشمال الغربي وتقدموا جنوبا في محاذاة نهري دجلة والفرات حتى احتلوا بابل، وهؤلاء الغزاة هم الحيثيون، وقضوا على آخر ملك من نسل حمورابي، وتدهورت بابل، وظهرت كلديا، ثم آشور التي يحدها نهر دجلة في الشرق وإحدى الدويلات الصغيرة خلال حكم بابل.

الباب الثامن

الحضارات السامية

نشأة الحضارات السامية:

أصل الساميين من شبه جزيرة العرب، ولما نضب معين الأرض في شبه الجزيرة، وكثر عدد السكان بسبب عدم إيمانهم بتحديد النسل، اجتذبت الأراضي الخصبة الواقعة في الشمال، سكان القبائل الفقيرة السامية.

(أ) هاجرت تلك الشعوب واستقرت في أقاليم أوفر ثورة وأكثر خصبًا ولكنها أثرت تأثيرًا بعيد المدى في الحضارة إذ حملت هذه الشعوب معها في هجراتها، ثقافتها وعلومها.

(ب) استخدم هؤلاء الباميون أساليب الحضارة القائمة في الأصقاع التي هجروها، فتمكنوا بذلك من تهذيب العلوم، فتفوقوا في الطب والفلك والرياضة، وبرعوا في النقش والنحت.

(ج) كان تشكيل غرب آسيا عند ظهور الساميين على المسرح السياسي على النحو التالي:

١– دولة الكاسين: وتعتبر الدولة التي ورثت دولة حمورابي على نطاق ضيق.

٢– دولة البحر: نشأت حول الخليج الفارسي وفي مستنقعات الدجلة والفرات.

٣– دولة الآشوريين: في شمال بلاد ما بين النهرين.

٤– دولة ميتاني: في المناطق الشمالية من نهر الفرات، وتمتد حتى الأناضول.

٤–دولة الحيتين: في الأناضول وسوريا الشمالية.

٥–دولة الحيتين: في الأناضول وسوريا الشمالية.

٦–دولة الهكسوس.

١ـ الآشوريين

أهمية موقع آشور:

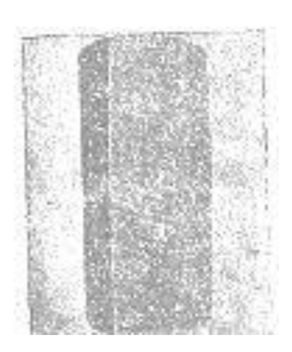
لما اضمحلت دولة حمورابي في بلاد ما بين النهرين، انتقل مركز التوازن الدولي إلى الشمال، وهي منطقة جبلية، تكثر بها إلى المرتفعات، وتوجد المدن التي يسهل لسكانها الدفاع عنها أكثر من المدن التي نشأت في السهول وفي الوديان الجنوبية، وتسمى هذه المنطقة آشور، نسبة إلى آلهها آشور العظيم.

وقامت حضارة آشور على أسس اختلفت عن تلك التي قامت عليها حضارة البابليين، لأن طبيعة أرض آشور زراعية خصبة، وظهرت في آشور منذ أول العصور عدة مدن كان سكانها من السومريين، ثم وفد عليها الساميون، بالإضافة إلى سكانها الأصليين من الآشوريين الذي يرجع أصلهم إلى الجنس الآري (لهند أوروبي).

مظاهر الحضارة الآشورية:

١- كتب الآشوريون باللغة المسمارية، وتأثرت بفنون النحت والعمارة البابلية فقد نقشوا أعمال ملوكهم وما أتوه من ضروب الشجاعة على أحجار كبيرة من المرمر واستخدموا الطوب في البناء.

٢- تعلم الآشوريون سبل القتال وجعلوا منه وسيلة للمحافظة على كيانهم، ولعل آشور هي الأمة الي عرفت قيمة الجيوش القوية، وكان لهم كيانهم وتماسكهم وحبهم للنظام.



٣- اقتبس الآشوريون من البابليين كثيراً من القصص الدينية ورموز الآلهة فدرسوها وقدسوها، ولكنهم ظلوا يعبدون الإله آشور إله قبيلتهم القديم الذي اعتقدوا أنه إله الزراعة التي تحيا ثم تموت ثم يكتب لها الخلود مثل الإله أوزوريس في مصر.

ولما تحولت آشور من أمة زراعية إلى أمة حربية، رأوا في إلههم آشور إله حرب، وكانت شجرة الحياة أقدم رمز للإله آشور، وأخذوا عن البابليين عبادة عشتر آلهة الحب.

٤- أصبحت آشور مركزًا تجارياً ممتازاً، فقد عرف الآشوريين فنون التجارة والتبادل التجاري من اختلاطهم الطويل بالبابليين ولذلك استقرت تجارتهم في مناطق مختلفة من بلاد الأناضول، وخاصة في منطقة كبادوسيا الغنية بالمعادن، استغلت مناجم الفضة في كيليكيا، وحلت الفضة محل الحبوب في المعاملات التجارية.

٥- كشفت أعمال الحفر على كميات وافرة من الألواح الطينية كتبت بالخط الإسفيني، وتحتوي على عقود بيع وشراء بين الآشوريين وأهل هذه البلاد، ولذلك يعتبر هؤلاء التجار بمثابة الوسطاء الذين حملوا معهم حضارة بابل إلى المناطق الواقعة جنوب أوروبا الشرقية.

٦- عنوا بالأدب وجمع الكتب، حتى وجد بين أطلال حجرات مكتبة آشور باني بال في نينوي ٢٢٠٠٠ كتاب.

الحكومة الآشورية:

١- اتخذ قصر الملك مقرًا لحكم العالم الأسيوي، بناه سرجون الثاني في شمال شرق نينوي ووصف بأنه أعظم قصور الملك في آسيا وشغلت مساحته ٢٥ فدانًا ويتسع فناؤه لإيواء ٨٠.٠٠٠شخص.

٢- اتخذ سنحاريب مدينة نينوي في شمال آشور، عاصمة للإمبراطورية الآشورية.

٣- أقيمت على ضفاف نهر دجلة عدة قصور هائلة البنيان، وأقيمت معابد ذات أبراج مرتفعة.

٤- أنشئت الطرق، وعين على كل منها موظف لتسهيل وصول البريد للملك، وهو أول ما عرف عن نظام البريد في الشرق الأدنى.

الجيش الآشوري:

١- اتجهت الحكومة الآشورية ناحية النهوض بالجيش، فعنيت باستخدام الحديد وكانت إقامة عرفت الأسلحة الحديدية، وكان سيادتها مستمدة من استخدام الحديد، وكان الجيش الآشوري يتكون من: الرماة حملة الدروع مزودين بالسلاح، ومن لفرسان وراكبي العربات، واستخدم المنجنيق وهو من أدوات الحصار وذلك لأول مرة في التاريخ.

٢- اتصف الجنود الآشوريين بالقسوة، مما ألقى الرعب في قلوب أعدائهم، وكثيراً ما خلف الجنود الآشوريين وراءهم تلالا من الخرائب، وقضوا على المدن وخربوها، وعلقوا رءوس القتلى، وسلخوا جلود الحكام، ونهبوا الممالك التي فتحوها، وحملوا على الخيل والحمير أطنان الذهب والفضة التي اغتصبوها لوضعها في قصر ملك آشور في نينوي، ويسير أمامها في عودتهم زعماء تلك الممالك وقد ربطوا حول أعناقهم رءوس القتلى.

٣- كانت آشور أول أمة من أمم الشرف عرفت قيمة الحصان واستغلته في شئون الحرب، وأضافت إليه العجلة التي تتحرك على عجلتين، وكان استعمال الحصان والعجلة الحربية من أهم مظاهر الحضارة في آشور، وأصبحوا بذلك أعظم قوة حربية رآها العالم القديم.

٤- كان لانصراف الدولة الآشورية ناحية النهوض بالجيش والتوسع الاستعماري عدة آثار على كيان آشور.

(أ) أدت الحرب إلى القضاء على عدد وافر من مهرة الصناع.

(ب) استدعى الجيش، الرجال من مزارعهم، فتأثرت الزراعة حتى اضمحلت وهجرت الحقول.

اتساع آشور:

ظهرت آشور كأمة قوية على المسرح السياسي، وظهر في آشور بعض الملوك للعظام جعلوا هدفهم إخضاع الغرب للحصول على بعض المواقع الحصينة على البحر الأبيض المتوسط.

وفي القرن التاسع قبل الميلاد، اختطت آشور لنفسها خطة حربية للتوسع تجاه الغرب، ولم تنجح أحلاف الممالك المعادية لها في صدها، فقد سقطت دمشق (٧٣٢ ق.م) التي كانت تتزعم حركة المقاومة ضد الآشوريين، وأخضعت آشور أعدائها وصاروا تحت سيطرة الإمبراطورية الآشورية:

١- في أثناء حصار آشور لمدينة السامرة، العبرية، توفى ملك آشور، وانتقل الملك إلى ابنه الذي تلقب باسم سرجون نسبة إلى سرجون السامي الذي حكم قبل ذلك بألف سنة، واتسعت الإمبراطورية الآشورية في عهده، وعرف باسم سرجون الثاني.

٢- وذاع صيت سنحاريب ملك آشور وابن سرجون الثاني، الذي عد أعظم سياسي في الشرق الأدنى القديم، واشتهر لحملته على مدينة نارسوس (٧٠٠ ق.م) ولاستيلائه على المدن الفينقية على البحر الأبيض المتوسط حتى بلغت حملاته الحدود المصرية، وقضي على مدينة بابل حتى أضحت أطلالا دراسة.

٣- ظهر ابن سنحاريب، الملك الآشوري، أمام أبواب القلاع الشرقية في الدلتا (٦٧٤ ق.م) ورغم أنه صد بادئ الأمر ومات قبل أن يدخل الدلتا، إلا أن مصر صارت لعدة سنوات خاضعة لدولة آشور.

ومنذ عام ٧٠٠ ق.م صار الهلال الخصيب كله تحت حكم الإمبراطورية الآشورية، ولكن اتساع حدود الدولة على هذا النحو الشاسع، لم يجعل في إمكان الدولة الآشورية الاستمرار في المحافظة على حدودها.

تقلص آشور:

وكانت آشور توجه عنايتها ناحية الاتصال بالغرب، وكانت دولة لا شواطئ لها، وتحول بينها وبين الاتصال بالبحر الأبيض دولتان هما مملكة ميتاني التي كانت إلى الشمال الغربي من آشور، وثانيهما الولايات التي تعنى بالتجارة وتحكم مواني شرق البحر الأبيض.

١- ذلك أن شعب ميتاني كان يحكم في منتصف الهلال الخصيب حوالي عام ١٥٠٠ ق.م، ويمت بالصلة إلى بعض الشعوب الأوروبية ويتكلمون لغة أقرب إلى لغة الأوربيون، وتعلم أجدادهم تربية الخيول وتمرينها على القتال وجر المركبات الحربية وتمكن فرسانهم من القضاء على من وقف في طريقهم وأشهرهم كيكولي صاحب أشهر كتاب عن الخيول، وتمكن هؤلاء الفرسان في النهاية من جعل بلاد ميتاني أمة حربية، تمكنت

من اختراق حدود خيتا ومن غزو بلاد آشور واحتلالها، وخضع الآشوريون لحكم ميتاني.

٢- وحال كذلك دون اتساع آشور نحو الغرب، وجود سلسلة من المدن الفينقية على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض، ومكنتهم أساطيلهم من أن يصبحوا أصحاب السيادة التجارية في حوض البحر الأبيض، وكانت المدن الفينقية في عداء مع آشور.

سقوط آشور:

بعد وفاة آشور بانيبال، ضعفت آشور لضعف عهدها بالحروب، وسرعان ما انهارت بعد موت آشور بانيبال بعشر سنوات، حين أحاط بها الأعداء من كل جانب مثل: الميديين والسومريين والشعوب الهندو أوربية، واجتاح البلاد جيش من البابليين بقيادة نبوخذ ومعه جيش من الميديين بقيادة سياخار واستولوا على القلاع الشمالية بسرعة، وضربت العاصمة نينو وذبح أهلها، وهكذا اختفت آشور من التاريخ.

٢ـ الكلدانيون

العاصمة بابل:

وهم ساميون، وتوغلوا في بابل القديمة، وأحيوها من جديد، على الرغم من هجوم الآشوريين المتكرر عليهم، واستقلوا بالمملكة عام ٦٢٦ق.م واتخذوا بابل عاصمة للمملكة.

بختنصر (**نبوخذ نصر الثاني**)

كان بختنصر أقوى ملوك الشرق الأدنى في زمانه وأعظم رجال الحرب مع أنه كان أميا، ومن أهم أعماله:

١- لما تآمرت مصر مع آشور لإخضاع بابل، التلقى نبوخذ نصر بالجيوش المصرية عند قرقمشيش وكان يبيدها عن آخرها ووقعت فلسطين وسوريا في قبضته.

٢- سيطر التجار البابليون على جميع مسالك التجارة التي كانت تعبر غرب آسيا من الخليج الفارسي إلى البحر المتوسط.

٣- أنفق نبوخذ نصر الأموال التي جباها من الضرائب على تحسين أحوال البلاد وعلى تجميل عاصمته، حتى أصبحت عاصمة الشرق الأدنى كله، وشيد في قصره حدائق بابل المعلقة الذائعة الصيت، وقد اعتبر اليونان هذه الحدائق إحدى عجائب الدنيا السبع.

العلاقة بين بابل ومصر:

١- امتزجت حضارة مصر العظيمة بحضارة بابل.

٢- تبالت مصر التجارة مع دول غرب آسيا.

٣- وفي الوقت الذي أخذت فيه مصر تضمحل وتضعف، كانت بابل يرتفع ذكرها وتزداد قوة.

٤- لما اتفقت مصر وآشور للإيقاع ببابل، وأرسل نخاو الثاني ملك مصر جيشا لمساعدة الآشوريين، إلا أن الملك نبوخذ نصر تمكن من القضاء على الجيشين الآشوري والمصري.

٥- تبادلت مصر وبابل مظاهر حضارة كل منهما، فأخذت بابل عن مصر نظام التدرج الهرمي، بينما أخذت مصر عن بابل طراز الأختام الأسطوانية.

مهاجمة فلسطين وتشتيت اليهود:

١- لما سقطت آشور، حاول الملك نخاو استرداد فلسطين، فتقدم حتى قرقميش وتقابل مع الملك نبوخذ نصر ملك بابل الذي تمكن من إلحاق الهزيمة بالجيش المصري.

٢- لما وجد نبوخذ نصر أن اليهود في فلسطين ثاروا على النفوذ البابلي، انتقم منهم واستولى على أورشليم وعزل ملكهم وأسر منهم ١٠.٠٠٠ اليهود، إلا أن اليهود سرعان ما تجمعوا وثاروا، فهاجمهم ملك بابل ونقل اليهود من وطنهم لكي لا يتجمعوا ضده مرة أخرى، وهكذا تم تشتيتهم.

حضارة كلديا:

(أ) الديانة:

بقيت العقائد الدينية على ما كانت عليه في العصور السابقة:

١- بلغ عدد الآلهة البابلية حوالي ٦٥.٠٠٠ إله، إذا كان لكل مدينة بابلية أو قرية أو أسرة أو لكل فرد، إله خاص يحميه.

٢- لم يؤمنوا بفكرة التوحيد.

٣- اختلفت عقيدة البابليين عن العالم الآخر، عما كان سائدًا عند المصريين القدماء، بل كانوا أقرب إلى الإغريق، فاعتقدوا أن الناس بعد موتهم يذهبون إلى مكان مظلم، العباقرة والجهلاء، القديسون والأشرار، ولا يرى ساكنوه النور، ولكن كانت هناك جنة لا يسكنها إلا الآلهة، أما الموتى فكانوا يقيدون من أيديهم وأرجلهم، ويرتجفون من البرد إذالم يتقدم أبناء الموتى بوضع الطعام والشراب على مقابرهم.

٥- لم يعرفوا طريقة تحنيط الجثة.

٦- كانت مظاهر التدين عند البابلي هي تقديم القرابين للآلهة، أما الحياة الصالحة فلم تكن تدخل في الحساب.

(ب) **العلوم والفلك والتقويم:**

١- كان للبابليين آثار كبيرة في الأدب والشعر، فخلفوا أساطير تصور مدى ما وصل إليه الفكر الإنساني في الدولة البابلية، ومن أهم هذه الأساطير ملحمة جلجميش وملحمة تموز.

٢- كان البابليون تجارا، ولذا كان نجاحهم في العلم أيسر من نجاحهم في الفن.

٣- قسم البابليون الدائرة إلى ٣٦٠ درجة، كما قسموا السنة إلى ٣٦٠ يوما، وعلى هذا وضعوا نظاما ستينيا للعد والحساب بالسنين.

٤- وضعوا جداول للضرب للأعداد الصحيحة، وجداول للقسمة، وجداول لضرب وقسمة الكسور.

٥- كانوا يقدرون المساحات المعقدة ومساحات الأشكال غير المنتظمة والنسبة التقريبية (النسبة بين محيط الدائرة وتطورها) بثلاثة وهو عدد تقريبي لا يليق بأمة كبابل.

٦- امتاز البابليون بالتوسع في الفلك، ودرسوا النجوم لاستطلاع الفأل والمستقبل، وكان لكل كوكب إله خاص وبرج يدور حوله، وكانوا ينظرون إلى الكواكب المعروفة إذ ذاك وهي عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل على أنها القوى التي تتحكم في مصائر البشر، كما أن الآلهة البابلية الخمسة الرئيسية كانوا يمثلون هذه الكواكب السيارة الخمسة: فأصبح عشتر آلهة الحب، هو فينوس «الزهرة»، وأصبح الإله الأعظم مردوخ كوكب مؤدوخ «المشترى» وهكذا.

وهذه الكواكب الخمسة بالإضافة إلى الشمس والقمر تكون مجموعة من سبعة أجرام سماوية، كان كل منها إلها، وجرت العادة على عبادته ومدحه في يوم خاص، وكانت عبادة كل إله تتكرر بعد مرور سبعة أيام.

٧- صور الكهنة مسارات الشمس والقمر، كما لاحظوا الخسوف والكسوف، وحددوا تاريخ الفصلين الشتوي والصيفي.

٨- اخترعوا الساعة المائية، وكانوا يقدرون بها الزمن بعد أن قسموا الدقيقة إلى ٦٠ ثانية.

٩- قسموا السنة إلى اثني عشر شهراً قمرياً منها ستة في كل منها ثلاثون يوما، والسنة الأخرى في كل منها تسعة وعشرون يوما، وقسموا الشهر إلى أربعة أسابيع تتفق مع أوجه القمر الأربعة.

١٠- كانوا يحسبون اليوم من منتصف الليل إلى شروقه في اليوم التالي، وقسموا اليوم إلى ١٢ ساعة، في كل ساعة ثلاثون دقيقة، ولهذا كانت الدقيقة البابلية أطول أربعة أضعاف طولها الحالي.

(ج) العمارة وتأثيرها بالحضارات الأخرى:

١- كانت البيوت تبنى من الطين أو من الآجر إن كانت للأغنياء، وقلما كانت لها نوافذ، ولم تكن أبوابها تفتح على الشوارع الضيقة بل كانت تفتح على فناء داخلي مظلل من الشمس.

٢- أقيمت المعابد على قواعد في مستوى البيوت، وكان يوجد حولها فناء ضخم تقام فيه الاحتفالات الدينية.

٣- وأقيم إلى جوار أبراج عالية تسمى باللغة البابلية «زجورات» ومعناها «مكان عال»، استخدمت في الأغراض الدينية أوالأغراض الفلكية.

٤- تأثر فن المعمار البابلي بالحضارة السومرية فجاء خاليا من الذوق الفني.

٥- لم يستغل تقدم العمارة في ممالك الشرق القديم، اللهم إلا الطراز الهرمي المتدرج الذي أخذوه عن مصر ولكنه فقد قيمته وأصوله عندما استعملوا في تنفيذه الطول اللبن الذي كان يبلى بعد قليل.

٣ـ العبرانيون

موطنهم الأصلي:

هم قوم ساميون انحدروا من شبه جزيرة العرب مع حركة الهجرات السامية الكبرى، وملأوا الفراغ الذي تشغله الآن سوريا وفلسطين، وعرفوا هناك باسم «العبرانيون» أما من سكنوا سوريا فعرفوا بالفينقيين.

وأما اليهود فاعتقدوا أنهم جاءوا من «أور» في بلاد سومر واستقروا في فلسطين حوالي عام ٢٢٠٠ ق.م، وانتصروا على الكنعانيين سكان فلسطين الأوائل.

انتقالهم إلى فلسطين:

بدأت حياة اليهود في فلسطين مع حياتهم في وادي النيل: فذهب شعب إبراهيم إلى فلسطين ومنها خرجوا جماعات إلى دول كثيرة من بينها مصر وجزيرة سيناء، فقد جاءوا إلى مصر في إثر يوسف الذي نال مكانة عظيمة في بلاط فرعون، فقد هاجر إلى مصر بنو إسرائيل عندما حدثت مجاعة شملت كل أرض فلسطين، وسرعان ما تكاثروا في مصر ولكنهم أخلوا بالأمن والنظام فأخرجهم –على ما قيل– فرعون مصر منفتاح من مصر، فخرج بهم موسى إلى سيناء ثم إلى فلسطين حيث هزموا الكنعانيين هزيمة سادتها مظاهر القسوة وسفك الدماء.

حكم موسى اليهود حكما سلميا فوضع أسس الشريعة الموسوية التي سار عليها اليهود في حياتهم، كما حكمهم بعد موسى يشوع الذي أقام حكمه على قانون الطبيعة وبهذه الطريقة استولى اليهود على الأرض الموعودة، فلسطين.

تكوين الأمة العبرانية:

١- لم تتألف من اليهود أمة موحدة متماسكة، بل كانوا يؤلفون إثني عشر سبطا، كل سبط منها يكاد يكون مستقلا عن الآخر، ولم يكن نظامهم يقوم على أساس الدولة بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة.

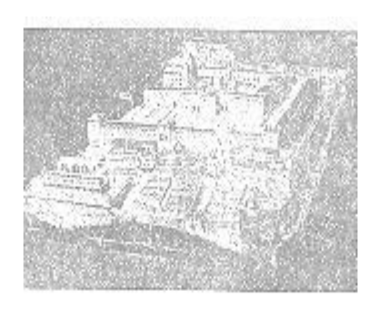
٢- كان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء، يتولى الفصل في شئون القبيلة، كما كانت الأسرة هي الوحيدة الاقتصادية التي تقوم بشئون الزرع والرعي.

٣- لما انتشرت الصناعة في المدن اليهودية، وصار الفرد –لا الأسرة– هو دعامة الإنتاج الاقتصادي، ضعف سلطان الأسرة.

٤- كان القضاة هم زعماء العشائر أو رجال الحرب حتى لو كانوا من الكهنة.

٥- على أن خطر الفلسطينيين على اليهود أقام نوعا من الوحدة الشاملة في جميع أسباط اليهود، وهذا ما جعلهم يعينون ملكا عليهم ذي سلطان دائم.

٧- كان أول ملوكهم شاؤول، وخلفه بعد فترة الملك داود الذي اشتهر ببراعته في الحرب وغرامة بالعزف على الفيتارة، وقد ورث العرش من بعده الملك سليمان بن داود الذي وهبه الله حكمة لم يهبها لأحد من قبل، فعلم شعبة القانون والنظام ونشر السلم والمحبة بين أفراد شعبة، فزادت ثروة أورشليم العاصمة، وحافظ سليمان على العلاقات الودية التي كانت بين أبيه داود وملك صور الفينيقي، وأنشأ أسطولا تجاريا في البحر الأحمر وانتشر صيته في جميع أنحاء العالم القديم، فجاءت إليه ملكة سبأ وده، وقد بنى سليمان هيكلا للرب أورشليم، فجاء طرازه مصريا وأضيف إليه طرز آشورية وبابلية، واستغرق بناؤه سبع سنوات واستخدم في بنائه أحجار من الذهب والفضة والأخشاب المعطرة، فجاء آية في الفن والجمال، فحق للناس أن يعتبروه من عجائب الدنيا.



٧- وبعد موت سليمان انقسمت مملكته إلى قسمين: مملكة إسرائيل وعاصمته السامرة، ومملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم.

الديانة:

١- عبد العبرانيون: الصخور، الماشية، وأرواح الكهوف والجبال، والعجل الذهبي، والأفعي، وانتشر بينهم السحر والشعوذة الذي ظل حتى بعد إيمانهم بإله واحد وعظموا الإله بعل.

٣- جعل اليهود من أحد آلهة كنعان، الإله الأوحد القومي وكان هذا الإله محدود القوى، إذ أنه غير معصوم من الخطأ، كما كان يعتقد أنه غير عالم بكل شيء، وعرف باسم الإله يهوه، ولما قام الاتحاد السياسي أيام داود وسليمان وتركزت العبادة في هيكل سليمان بأورشليم، أصبح يهوه إله اليهود الأوحد.

٣- كانت الخطيئة هي الفكرة الأساسية في الدين اليهودي، التي كان يعقب وقوعها حدوث غضب إلهي كحبس المطر وهزيمة جيوش اليهود.

٤- كان الموتى جميعهم الصالح والطالح يذهبون جميعا إلى أرض الظلام التي لا تقل هولا عن الجحيم، عدا المقربون إلى الله كموسى وإيليا وسليمان كانوا يذهبون إليه في مقر مجده.

٥- لم يعتقدوا في الخلود، فقد كان الجزاء والعقاب والثواب مقصورين على حياتهم الدنيا.

٦- كان الكهنة هم المكلفون بتقديم القرابين وتفسير الطقوس الدينية ولم يكن للكهنة أن يرثوا المال إلا أنهم كانوا معفون من الضرائب.

٧- لم يستطع الدين أن يحرر العقول من سيطرة الخرافات الوثنية، فكان من الناس من عبدوا «بعل» واشتغلوا بالتنبؤ والتنجيم ولذا قام أنبياء صالحون مثل إيليا وليشع يهدون الناس إلى طريق الحق.

الأدب:

١- كتب اليهود باللغة العبرية ذات الحروف الهجائية، التي تعتبر أول حروف هجائية ظهرت في الشرق.

٢- يعد أدب اليهود عبارة عن أدب ديني يتحدث عن الشرائع والأحكام الدينية كالتوراة والوصايا العشر، وقد شملت التوراة بجانب الشرائع الدينية، تاريخ وفلسفة وقصص وشعر.

٣- احتلت مزامير داود المكان الأول من الشعر الغنائي، فقد وصفت لحظات من نشوة التقى والهيام الروحي والإيمان القوي المحرك للعواطف.

٤- وانتشرت في الأدب العبري أنشودة سليمان، ونبوءات أرميا وأشعيا.

تأثر العبرانيين بالحضارة المصرية:

تأثر العبرانيون بالحضارة المصرية، فقد استقروا في مصر، حوالي ٣٠٠ سنة، قبل خروجهم أيام موسى، وظلت بلادهم بعد ذلك خاضعة للحكم المصري خلال حكم الأسرات الثامنة عشرة والعشرين.

وقد طهر هذا التأثر واضحًا في جميع نواحي الحياة اليهودية كما يتجلى في:

١- أن طراز هيكل سليمان هو طراز مصري.

٢- أن فكرة الخلود التي آمن بها اليهود طويلا، إنما هي فكرة مصرية صميمة.

٣- تأثر الأدب العبري كذلك بالأدب المصري، فجاءت مزامير داود صورة من أناشيد إخناتون الدينية.

تعرض العبرانيون لغزو الآشوريين والكلدانين:

أدى انقسام مملكة سليمان إلى مملكتي إسرائيل ويهوذا، إلى انتشار الاضطراب والقلق السياسي بين أفراد الشعب اليهودي ولما قويت شوكة آشور وتطلعت إلى الأفق الغربي لإقامة إمبراطورية آشوروية، توحدت جهود كل من مصر وبابل وفلسطين أمام الحظر الداهم، إلا أن آشور تحركت ودخلت جيوشها فلسطين وأخضعت اليهود، وخرج الجيش الآشوري

بقيادة آشور بانيبال من فلسطين وفتح مصر ووصل إلى طيبة التي أحالها إلى أطلال.

ولما لبثت آشور أن ضعفت وتفككت بعد آشور بانيبال، فاستردت مصر فلسطين واتجهت بابل إلى دولة آشور نفسها وقضت عليها.

وحدثت هجرات سامية من شمال غرب بحر قزوين عرفت باسم الشعوب الكلدانية واستقرت في فلسطين وسوريا وأنشأوا مدنا زاهرة واعتمدوا في حياتهم على التجارة.

عودة العبرانيين إلى بلادهم:

لما فتح كورش ملك الفرس مملكة بابل سنة **٥٣٩** ق. م، سمح لليهود بالعودة إلى بلادهم في فلسطين كما أعاد إليهم أموالهم وأراضيهم حاملين معهم كثيراً من مظاهر الحضارة البابلية.

الديانة والحكومة:

نظم العبرانيون هيكل سليمان في أورشليم وتهذبت ديانتهم كثيراً عما كانت عليه قبل الفتح البابلي، كما اهتموا بتسجيل التوراة وما بها من قصص وتاريخ وأحكام تشريعية وأغاني وأناشيد.

وترك الاستعمار الفارسي في فلسطين لليهود استقلالهم الذاتي، وحكم اليهود حكم ديني تحت سيطرة كاهن عظيم، كما ظل لمجلس العشائر اختصاصه الإداري والقضائي.

٤ـ الآراميون

الآراميون في سوريا:

و هم من الشعوب السامية التي نزحت من شبه جزيرة العرب بسبب الجو، فخرجوا على دفعات، وانتشروا في سوريا والعراق وبابل، أي في السهول الواقعة بين حوض الفرات ودجلة وساحل البحر الأبيض المتوسط.

وقد أقام الآراميون في سوريا حضارة متأثرة بباقي حضارات الشرق القديم من النواحي الاجتماعية والأدبية.

تأثر الأراميين بالحضارتين المصرية والخيتية:

بعد أن استقر الآراميون في مفترق حضارات عريقة، تأثرت حضارتهم بهذا الموقع، وخاصة الحضارتان المصرية والخيتية، فأخذ الآراميون عن الخيتية نظام المباني والحياة العسكرية، وأخذوا عن المصريين العلوم والفنون، وكانت حروف اللغة الآرامية مأخوذة عن المصرية.

نشاط الآراميين التجاري:

أدى وقوع منطقة نفوذ الآراميين على طرق التجارة القادمة من الشرق إلى الغرب وبالعكس، إلى نشاطهم التجاري العظيم في الشرق وخاصة مع الآشوريين لقربها من أراضيهم، ولما كانت آشور دولة عسكرية لم تشتغل بالتجارة، فقد احتكر الآراميون تجارة الشرق ونقلوا الثقافات المختلفة بين الأمم.

الكتابة الآرامية:

١- كانت الآرامية مأخوذة من الفينقية، والفينقية مأخوذة عن المصرية. وتعليم الآراميون من استعمال القلم والحبر، وانتشرت الأبجدية الفينقية الآرامية في جميع بلاد آسيا الغربية، وامتدت من الفرات إلى إيران، ونشرت الأبجدية الشرقية السنسريتية في كتابات الأمم الواقعة غرب الهند.

٢- انتشرت الآرامية بسبب اشتغال الآراميين بالتجارة حتى حلت محل الآشوريين والبابلية، وصارت لغة الهلال الخصيب كله، ولم يأت القرن الأول قبل الميلاد حتى كانت الآرامية هي المتداولة في سوريا وفلسطين وفينيقيا وشبه جزيرة سينا، ووصلت بعد ذلك إلى فارس ومنها إلى الهند.

٣- كان من عوامل انتشار الآرامية، أنها كانت لغة بسيطة مرنة سهلة الأداء، كما أنها كانت لغة عملية تسهل شئون البيع والشراء.

٤- استخدم الآشوريون الموظفين الآراميين في دواوين الكتابة في إمبراطوريتهم، إذ أن شهرة هؤلاء الكتبة وخبراتهم العديدة بشئون الوثائق «العقود» شجعوا الحكومات على استخدامهم والانتفاع بهم.

٥ـ الفينقيون

أصل الفينيقيين:

اعتبر الفينيقيون من أصل سامي، في رأي كثير من المؤرخين، وقدم أجداد الفينقيين إلى مقر هذا الإقليم، من شواطئ الخليج الفارسي وعمروا في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد ساحل فينقيا، وهو الشريط الضيق الذي يبلغ طوله مائة ميل ولا يزيد عرضه عن عشرة أميال محصورًا بين البحر وسوريا.

تكوين المدن الفينقية:

١- أقام الفينقيون عدة حاميات في مراكز حصينة على ساحل البحر المتوسط، أخذت تكبر حتى أضحت مستعمرات أو مدنا غاصة بالسكان.

٢- أقام الفينقيون محطات تجارية على طرق التجارة في الشرق والغرب وكانت هذه المحطات بمثابة مراسي لتموين السفن وإعداد البضائع،

وأشهر هذه المستعمرات قادش في أسبانيا وقرطاجنة في إفريقية الشمالية ومرسيليا ومالطة وصقلية وسردينيا.

٣- ظهر الفينقيون في مدن محصنة على الساحل الفينيقي خوفا من هجمات المصريين والحيثيين المستمرة، واكنت أقوى مدنهم جبيل وصور وصيدا، ومنها تركزت الحركة التجارية في بلاد الشرق القديم.

خصائص حضارة الفينقيين:

١- سيطر الفينقيون على طرق التجارة البحرية.

٢- علموا الأمم القديمة الحروف الهجائية المصرية، وهم أدخلوا هذه الحروف إلى بلاد اليونان.

٣- أدى تجولهم الطويل في البحار الواسعة إلى الطواف حول إفريقية وكشفوا طريق رأس الرجاء الصالح قبل أن يكشفه فاسكو دي جاما بنحو ٢٠٠٠ سنة.

علاقة الفينقيين بالحضارات القائمة:

١- كانت علاقات الفينقيين بما جاورهم من الحضارات تقوم على أساس تجاري، فقامت بين مصر وفينقيا علاقات تجارية منذ الأسرة الرابعة، إذ كانت مصر تستورد خشب الأرز من الساحل السوري.

٢- ولما لم يكن للفينقيين حضارة مستقلة لانصرافهم إلى التجارة، فقد اقتبسوا من حضارات جيرانهم: الكتابة وصناعة الأواني الفخارية وصناعة السفن وأكسبوها الروح القومية.

٢- أخذ الفينقيون عن اليهود فكرة التوحيد فكانوا يعترفون بإله عام يضم في شخصه جميع الآلهة يسمى «إل أو إلو»، كما كانوا يعتبرون الأم الكبرى عشتروت والقمر والشمس.

نقل الحضارات:

أدى اشتغال الفينقيين بالتجارة أن أصبحوا عاملا هاما في نقل الحضارات المختلفة إلى المراكز التي يتصلون بها للتجارة:

(أ) وجد في جزيرة كريت آثار مصر ترجع إلى أيام الأسرة الثامنة عشرة نقلها الفينقيون إليها.

(ب) اتصل الفينيقيون ببابل وآشور ومصر والإغريق وأمدوا كلا منها بحضارات الأمم الأخرى، وتلافت بذلك كل دولة ما نقص لديها من مظاهر حضارتها.

علاقتهم بمصر:

١- ارتبطت مصر بفينقيا منذ القدم بعلاقات تجارية، إذ كان الفينقيون ينقلون إلى مصر الأخشاب اللازمة للمعابد المصرية.

٢- جمع الفينقيون للحكم المصري حتى الدولة الحديثة المصرية، حين أتيح لهم أن يتحرروا من السيادة المصرية.

٣- أصبحوا سادة البحر المتوسط حتى حق لهم أن يسموه بحيرة فينقية.

٤- بلغ من مهارة الفينقيين البحرية أن استعان بهم الملك نخاو الثاني في بناء أسطول مصر التجاري، وأتم هذا الأسطول الطواف حول إفريقية.

الحروف الأبجدية:

١- أخذ الفينيقون حروفهم الهجائية عن اللغة الديموطيقية، وكتبوا الحروف الفينقية بدلا من الكتابة المسمارية المقطعية.

٢- كانت اللغة واسطة التبادل التجاري ثم أصبحت وسيلة نقل الآداب.

٣- أصبحت الفينقية آخر الأمر هي لغة المسيح بعد أن أصبحت آرامية، ومن الآرامية جاءت الحروف العربية.

٤- انتقلت الفينقية إلى بلاد اليونان، فجعلوا منها الحروف اليونانية التي كانت تكتب من الشمال إلى اليمين، ثم علمها اليونان للرومان، فكتبوا اللاتينية التي خرجت منها اللغات الحديثة الفرنسية والإيطالية والأسبانية والرومانية.

الباب التاسع

الحضارة الفارسية

العنصر الآري:

الموطن الأصلي للجنس الآري أو الهند أوروبي هو شواطيء بحر قزوين ومنطقة جبال أورال.

و اندفعت قبائل من الجنس الآري حوالي سنة **٢٠٠٠** ق.م بسبب ذوبان الثلوج فوق قمم الجبال وإغراق أراضي تلك المناطق إلى الصين والهند واستولوا على آسيا الصغرى وإيران البلقان.

وتفوق الآريون في فنون الحرب والقتال، وقد أطلق على جنسهم: الهندي أوروبي، بسبب انتشارهم في الهند وفارس وتركستان ومعظم أوروبا وشبه جزيرة البلقان.

ظهور الميديين وهجراتهم:

والميديون من الجنس الآري، سكنوا أقاليم بخاري وسمرقند وتوغلوا نحو الجنوب حتى وصلوا إلى فارس.

أعظم ملوك ميديا:

١- ديوسيس أول ملوك الميديين عاصمته كباتانا فوق قمم جبال فارس، واشتهر هذا الملك بالعدل، وأصبح الميديون في عهده ذوي شدة وبأس، وساعدهم على ذلك بيئتهم الاقتصادية.

٢- سيراكزارس أعظم ملوك ميديا، استطاع تدمير نينوي عاصمة الآشوريين كما اجتاحت جيوشه آسيا الصغرى حتى وصلت إلى سرديس بالقرب من بحر إيجة ولكنه رجع دون فتحها.

٣- كيخسرو: وسع دولته فأصبحت إمبراطورية تشمل آشور وميديا وفارس.

انتصار الفرس على الميديين:

حوالي عام ٥٥٠ ق.م كان استياجس ملك الميديين ضعيف القوى العقلية، فثار كورس حاكم ولاية إنشان الفارسية التي كانت تابعة للميديين، وحارب الملك، فابتهج بذلك الميديون أنفسهم الذين ولوا قورش ملكا عليهم، وكان هذا نذيراً لأن تكون فارس سيدة الشرق الأدنى كله.

اتساع دولة كورش:

كان كورش ملكا قديرا في الإدارة والحرب، وكان من أكبر أبطال العالم قبل الإسكندر، وأسس الأسرة الإكمينية التي حكمت فارس في أزهى عصورها.

١- نظم قوات ميديا وفارس الحربية واستولى على سرديس وبابل، وقضى على حكم الساميين في غرب آسيا، وضم إلى نفوذه جميع البلدان التي كانت تحت سلطان الممالك السابقة.

٢- نظم كورش أداة الحكم في البلاد التي فتحها: فترك لها الحرية الدينية وأكرم حكامها، وأحسن معاملة اليهود، فقد كان يؤمن بأن الدين أقوى من الدولة، وقتل كورش وهو يحارب إحدى القبائل التي كانت نازلة على السواحل الجنوبية لبحر الخرز وكان ذلك عام **٥٢٩** ق.م.

خلفاء كورش:

١- قمبيز **٥٢٩-٥٢١** ق.م: ابن كورش ورث عن أبيه قوته، فتح مصر نظرا لثروتها وضعفها، ولكن حملته على واحة آمون في سيوة هزمت، كما هزم الجيش الفارسي أمام قرطاجة ولذلك أصيب الملك بمرض عصبي حتى أعدم أخته وزوجته وقتل ابنه، وثار الشعب ضده ونزع منه العرش، وما لبث أن انتحر.

٢- دار الأول: ٥٢١- ٤٨٥ ق.م.

جاء دار الأول بعد قمبير، في وقت كانت فيه الولايات الفارسية قد انتهزت فرصة وقوع فتن ومؤامرات داخل القصر الفارسي، وأعلنت خروجها على فارس: فانفصلت مصر وليديا عن السادة الفارسية، وثارت بابل وآشور وأرمينيا.

وتمكن دار الأول من إخضاع هذه الولايات جميعا، وأعاد تنظيم مملكته، واقتبس ما راقه من الحضارات العظيمة المجاورة، واستخدم التقديم المصري، وأعجب بالطب المصري حتى أعاد بناء مدرسة طبية تهدمت في صان الحجر، ونظم ولاية مصر التي كانت تمده بالقمح، وأعاد حفر قناة تصل النيل والبحر الأحمر، وأقام نفسه ملكا على كل من مصر وبابل، وقسم باقي الإمبراطورية إلى ٢٠ ولاية يحكمها وال من قبله، وهو نظام شبيه بما كان متبعا في كلديا وآشور ومصر.

وانتهى عهد دار الأول، بانتصار الإغريق عليه، في واقعة ماراثون فعاد منهزما، ومرض ومات.

٣- وجاء بعده بعض الملوك الضعاف، حتى تولى الإسكندر سنة ٣٣١ ق.م، وقضى على الدولة الفارسية، بانقضائها انتهى عهد الإمبراطورية الأسيوية العظيمة.

تأثير حضارة الفرس بحضارات البلاد التي فتحوها:

١- قامت حضارة الفرس على أنقاض حضارة الميديين.

٢- كانت الدولة الفارسية في أقصى اتساعها تشمل ٢٠ ولاية، من أهمها: مصر، وفلسطين، وسوريا، وفينيقيا، وأيونيا، وآشور، وبابل. فأثرت هذه الحضارات على الدولة الفارسية، وخاصة من ناحية العمارة وتخطيط المدن.

٣- كانت لغة الفرس وديانتهم، وثيقة الصلة بالآريين، الذين عبروا من أفغانستان، فكانت الفارسية قريبة من اللغة السنكريتية، ثم تفرعت هذه اللغة بسبب اتساع رقعة البلاد إلى قسمين: الزندية والبهلوية.

الكتابة الآرامية والكتابة المسمارية:

١- مارس الفرس: النقش بالخط المسماري، واستخدموا الحروف الهجائية الآرامية في الكتابة ولذا كانت حكومة الملوك الفرس، كحكومة الإمبراطورية الآشورية، حكومة ذات لغتين: الآرامية والفارسية القديمة، واستخدموا في كتاباتهم للغة الفارسية حروفا آرامية.

٢- بسطوا المقاطع اللغة البابلية الصعبة، فأنقضوها من ٣٠٠ رمز إلى ٣٩ حرفا هجائيا.

٣- تبدلت العلامات التسع والثلاثين من علامات إلى حروف هجائية مسمارية.

٤- اعتبر الفرس الكتابة من من اللهو الخليق بالنساء، ولذا كانوا يقضون أوقاتهم في الحرب والصيد.

نظم الحكم وحكومة الولايات:

١- كانت الملكية الفارسية، ذات صبغة عسكرية، ولذا سمى الملك أوخشترا (المحارب). وكان الملك ذو سلطة مطلقة، ولم يكن يحق لأحد أن يوجه إليه اللوم أو النقد، ولذا حكم بعض الملوك وفق مشيئتهم: فأعدموا من شاءوا حتى أبناءهم وزوجاتهم، ورفعوا قدر من أرادوا من الغلمان.

٢- كانت مهمة الأعيان، القيام بمهمة الاستشارة للملوك، وفي مقابل ذلك كانوا يمدون الملك بالرجال والعتاد اللازمين للقيام بحملة حربية أو تأديبية.

٣- كان لكل ولاية فارسية، قائد يحكمها ويتصرف في جميع شئونها.

وكان هذا القائد مسئولا شخصيا أمام الملك، ويقوم بجمع الضرائب من ولايته، ويدفع منها مرتبات الموظفين، ويرسل ما يتبقى من هذه الضرائب للملك.

الجيش والأسطول:

١- كان الجيش هو الأساس الذي ترتكز عليه سلطة الملك والإمبراطور، ولذا كان التجنيد إجباريا، وخاصة وقت إعلان الحرب، وذلك بالنسبة لمن هم فيما بين الخامسة عشرة والخمسين من عمرهم، على أن يتميزوا بقوة الأبدان وسلامة الأعضاء.

٢- وكانت اهم فرق الجيش هي فرقة الحرس الملكي، وتتألف من: ٢٠٠٠ من الفرسان، ٢٠٠٠ من المشاة، وكلهم من الأشراف.

٣- وكان الجيش العامل كله من الفرس والميديين، وهناك قوات أخرى تتألف من فرق تجند من جميع الأمم الخاضعة لسلطان الفرس، وهذه الفرق تتكلم بلغتها، وتقاتل بأسلحة الأمة التي جندت منها، وتتبع أساليبها الحربية الخاصة، ولذا اختلفت أسلحة الحرب وطرق القتال.

٤- كانت الأسلحة المستعملة هي: السهام، والسيوف، والحراب، والخناجر، والرماح، والمقاليع، والمدى، والتروس، والخواذات. وكان الفرس يركبون الجياد والفيلة.

٥- لم يكن للفرس أسطول وطني خاص، واستعانوا في سبيل استخدام القوة البحرية في القتال بالفينقيين.

الضرائب والطرق:

١- قسمت الإمبراطورية إلى ستربيات (ولايات)، لتسهل بذلك إدارتها وجباية خراجها. وكان في كل ولاية نائب عن الملك، يرضي البلاط الملكي عن اختياره.

٢- نشر الملك في كل ولاية، هيئات مخابرات سرية، مهمتها الإشراف على شئون الولايات المالية خاصة والإدارية بوجه عام.

٣- فرض على كل ولاية أن ترسل للملك كل عام، قدرًا محددا من المال والبضائع، ومن بين هذه الولايات: مصر، والهند، وآشور، وبابل. وكانت الأراضي الزراعية مقسمة إلى قطاعات واسعة في حوززة نبلاء أو ملاك أغنياء، مع أقلية ضئيلة من الزراع كانت تملك أراضيها.

٤- عمل ملوك الفرس على إنشاء شبكات الطرف البرية، لربط أطراف الإمبراطورية، وخاصة الطريق بين عاصمة فارس ومصر، ويبلغ طوله ١٥٠٠ ميل، وإلى هذه الطرق، يرجع الفضل في ظهور تلك النهضة الشاملة التي أدت إلى ازدهار التجارة وتبادل الحضارات.

الديانة الزرادشتية:

آمن الفرس بالديانة الزرادشتية، منذ أيام كورش: حتى اعترف بها ديانة رسمية، خلال حكم أسرة آل ساسان.

ولد زرادشت وهو نبي ميدي حوالي عام **٥٧٠** ق.م. وتقوم ديانته على تعارض رب الخير هرمز (أهورا مزدا) إله النور والصدق والصراحة والشمس مع رب الشر أهريمان إله الخفاء والمكر والدسيسة والظلمة.

وكانت الزرادشتية محطوطة بنظام طقسي كهنوتي، ولم يكن لها تماثيل مقامة أو كهنة ومعابد وهياكل توقد فيها نار مقدسة، وكان الموتى حسب العقيدة الزرادشتية يلقون داخل أبراج معينة مفتوحة تسمى أبراج الخشوع.

الفنون:

١- اتسعت أرجاء الإمبراطورية الفارسية منذ حكم كورش، فاستسلم الفرس إلى حياة الترف والثراء وتشجيع الفنون، وكان الفرس شعب قتال، لم يهتموا بالفنون، بل اعتمدوا في ذلك على فنون البلدان الأخرى.

٢- كانت لهم بيوت جميلة وحدائق غناء، وكانت منازلهم تحوي أفخم الأثاث فيجلسون على طنافس مزخرفة بديعة، ويأكلون في طباق مذهبه، ويشربون في كؤوس من الذهب.

٣- لم يكن للفرس طراز فني خاص، إلا في العمارة. فشيدوا المقابر والقصور ومن أهمها قبر دار الأول المنحوت في الصخر، وأقيم أمامه أربعة أعمدة دقيقة.

آثار النزاع بين الفرس والإغريق:

لما قام الإسكندر الأكبر بفتوحاته العظيمة داخل أملاك دولة فارس، صحب معه العلماء والأدباء ورجال الفن والمهندسين، فلم تكن غزوات الإسكندر للفتح فحسب، بل أراد أن ينقل أسس الحضارة الشرقية التي سمع عن ازدهارها وخلودها، فأدى به ذلك إلى نقل ثمرة الفكر ومحصول الحضارة إلى اليونان ومنها إلى أنحاء أوربا المختلفة.

وكانت بلاد الفرس آخر قوة عظيمة عرفها الشرق الأدنى القديم.

تقدير حضارة الشرق

كان الشرق مهد حضارات عريقة، قامت منذ نشأة الإنسان على سطح الأرض، فمنذ ٦٠ قرنا قبل الميلاد، والشرق يرفل في حلل قشيبة من التقدم والحضارة، هذا في الوقت الذي كانت فيه أوروبا مازال يغمرها غموض مطلق.

انتقال حضارة الشرق إلى الغرب- سهل انتقالها:

هجرات الشعوب، التي كانت تأتي معها بعناصر حضارية، تندمج في حضارات أخرى.

٢- كانت التجارة القديمة، من أهم عوامل انتقال الحضارة من مقر الحضارة الزاهية إلى بلد متأخر، يأخذ سبيله إلى التقدم.

٣- كانت الحروب إحدى العوامل الهامة في انتقال الحضارة، فقد فرضت الدولة المنتصرة مظاهر حضارتها على الدولة المنهزمة.

٤- رحلات الرحالة والمؤرخين، أمثال هيرودوت وديودور الصقلي، وكانت أغلبية المؤرخين من اليونان، ولهذا أهمية كبرى في انتشار حضارة الشرق إلى أوروبا.

٥- العلماء الذين صاحبوا الحملات الحربية، فقد كانت الحملات القديمة حملات دراسية واقتباس مظاهر حضارة البلاد المفتوحة

٦- الفنانون والمعماريون والمهندسون، الذين كانت تأسرهم الدول الفاتحة وترسلهم إلى عواصم بلادها، أحدثوا نهضة شاملة في نواحي الحضارة المختلفة.

عوامل زوال هذه الحضارات:

١- اختفاء دول كاملة، عقب الحروب الدامية التي كانت تقوم بين دول الشرق، فقد اختفت دول الحيثيين وبابل وآشور وفارس.

٢- الهجرات التي قامت بها شعوب وقبائل، قضت على حضارات زاهرة.

٣- ركون بعض الدول القوية إلى حياة الدعة والترف، أدى إلى ضعفها وانهيارها، كما حدث لإمبراطورية فارس.

٤- جمود بعض الشعوب الشرقية وغير قابليتها إذ ذاك للتطور والارتقاء، مما أدى إلى قصر عمر الحضارات.

٥- عمل الفرس على أن يكون الدين والدولة وحدة لا تتجزأ، فلما فسد الدين بمرور الزمن فسدت الدولة.

الفهرس